وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

– شعبة التاريخ –

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

# العلاقات الجزائرية المغربية على عهد الأمير عبد القادر(1832–1847)

تخصص:تاريخ حديثومعاصر

إعداد الطالبان:

– مصيطفى محمد

– بن حمودة سليمان

إشراف الأستاذ:

– زناتي عامر

لجنة المناقشة

| | | | |
|---|---|---|---|
| الأستاذ:دهمة بكار | استاد التعليم العالي | جامعة غرداية | رئيسا |
| الاستاد:زناتي عامر | استاد التعليم العالي | جامعة غرداية | مشرفا ومقرر |
| الاستاد:إبراهيم طاس | استاد التعليم العالي | جامعة غرداية | عضوا مناقشا |

الموسم الجامعي:

1438–1439 هـ/ 2017–2018 م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

– شعبة التاريخ –

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

# العلاقات الجزائرية المغربية على عهد الأمير عبد القادر(1832–1847)

تخصص:تاريخ حديثومعاصر

إعداد الطالبان:

– مصيطفى محمد

– بن حمودة سليمان

إشراف الأستاذ:

– زناتي عامر

لجنة المناقشة

| | | | |
|---|---|---|---|
| الأستاذ:دهمة بكار | استاد التعليم العالي | جامعة غرداية | رئيسا |
| الاستاد:زناتي عامر | استاد التعليم العالي | جامعة غرداية | مشرفا ومقرر |
| الاستاد:إبراهيم طاس | استاد التعليم العالي | جامعة غرداية | عضوا مناقشا |

الموسم الجامعي:

1438–1439 هـ/ 2017–2018 م

# شكر و العرفان

**الشكر لله تعالى على التوفيق في هذا العمل المتواضع**

**و الشكر للأستاذ المحترم زناتي عامر المشرف على المجهود و المتابعة و النصح**

**لإتمام هذه المذكرة**

**و إلى عميد كلية العلوم الإنسانية الدكتور بوسليم صالح و إلى كل الأساتذة الذين**

**ساهموا في وصولنا إلى هذه المرحلة**

# إهداء

**إلى روح والدي المجاهد الخير مصطفى**

**إلى والدتي أطال الله عمرها بالحسنة**

**إلى كل أفراد عائلتي الصغرى و الكبرى**

**و إلى أرواح كل من ضحى في سبيل تحرير الجزائر منذ وطئت أقدام المحتل الغاشم أرض الوطن إلى يوم الاستقلال**

**مصيطفى محمد**

## إهداء

**الى امي  حفظها الله ودامها تاجا يبعث على الفخر  في كل مكان وزمان.**

**الى زوجتي واولادي حفظهم الله ورعاهم**

**الى اخوتي  واخواتي وعائلتهم الكبيرة كلها.**

**الى زملاء وزميلات الدراسة  جميعهم.**

بن حمودة سليمان

# مقدمة

تاريخ العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الاقصى لها خصوصية، حيث تميزت بالتجاذب والتنافر والمد والجزر رغم تقاسم الشعبين أواصر الاخوة والدين واللغة والنسب والتاريخ الدي يزخر بتجارب وحدوية كيرة وأخرى ميزها التباعد والتفارق والتشرذم، ولعل ما نسرده في موضوع بحثنا الذي جاء تحت عنوان **العلاقات الجزائرية المغربية على عهد الأمير عبد القادر(1832-1847)م** اوضح دليل على ما عرفته المرحلة حيث زمنيا تزامنت هذه الفترة مع نهاية حكم الاتراك في الجزائر وبداية الاستعمار الفرنسي الغاشم واندلاع مقاومات مسلحة لمنعه من احتلال الأرض الوطنية.

العلاقات الجزائرية المغربية تميزت بعلاقات معقدة منذ زمن بعيد الى يومنا هذا لذا وجب العودة لدراسة مختلف الأزمنة التي مرت بها لمعرفة عمق هذه العلاقات ليسهل فهمها حاضرا خاصة ان الموضوع يأخذ حقه في الدراسة من طرف الباحثين، خاصة الفترة الزمنية (1832-1847) وهي مرحلة جهاد مؤسس الدولة الجزائرية المعاصرة الأمير عبد القادر.

## دوافع اختيارنا للموضوع

كان اختيارنا للموضوع لدوافع ذاتية موضوعية نجيزها فيما يلي:

1-المزعة لدراسة مرحلة مهمة من تاريخ المنطقة المغاربية خاصة فترة تعرضها الى الاحتلال الفرنسي والتي استهوت المؤرخين وحتى الساسة لتسهيل معرفة الحاضر الذي يعرف مخلفات الحقب الماضية المتناقضة.

2-وجود تطاول من العديد من ادعياء معرفة العلاقات الجزائرية المغربية لكن دراساتهم تتسم بالارتجالية والتسرع مما فسح المجال للحاقدين والمتطاولين على استغلالها في ضرب رموز الامة وعلى رأسهم القائد السياسي والعسكري مؤسس الدولة الجزائرية.

**إشكالية البحث:**

تتمحور الإشكالية في سؤال جوهري ما هو سبب تميز علاقة الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان بالتقارب مرة والتنافر مرات أخرى؟

تفرعت الإشكالية عن الأسئلة الجزئية التالية:

-لماذا استنجد سكان الغرب الجزائري بالسلطة المغربية؟

-موقف السلطان المغربي من ظهور الأمير عبد القادر والعلاقة التي ربطت بينهما؟

-هل كان لفرنسا دور في توجيه هذه العلاقات؟

-ماهي الوسائل التي اعتمدت لزعزعة العلاقات الجزائرية المغربية آنذاك؟

**منهج البحث:**

اعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي وذلك (تركيب الاحداث وسرد الحقائق وترتيبها زمنيا) مع الاعتماد على تقنيات المقاربة والتحليل في عرض المعطيات التاريخية لاستخلاص الاحكام

والاستنتاجات

3-الرغبة في تمحيص ماضي العلاقة التي جمعت الجزائر والمغرب التي يشوبها الكثير من الغموض ومحاولة الوقوف على بعض حقائقها الصحيحة وبكل تجرد من عاطفة وذاتية.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على الخطة التالية:

الفصل التمهيدي : جاء تحت عنوان "أوضاع الجزائر و المغرب قبيل الاحتلال الفرنسي" تناولنا فيه الوضع الاجتماعي و الثقافي و السياسي و الاقتصادي لكل من الجزائر و المغرب خلال اواخر الفترة العثمانية .أما الفصل الأول: جاء تحت عنوان "العلاقات الجزائرية المغربية على عهد الأمير عبد القادر " تضمن تأسيس الأمير عبدا القادر للدولة الجزائرية واقع العلاقات الجزائرية

المغربية في عهد الأمير عبد القادر وتطرقنا إلى أشكال الدعم المقدمة من السلطان عبد الرحمان إلى حركة الجهاد الجزائرية، وموقف السلطات الفرنسية من ذلك، وأثر معاهدتي دي ميشال و التافنة على العلاقات بين الطرفين .أما الفصل الثاني جاء تحت عنوان "الضغط الفرنسي على المغرب وتوتر العلاقات الجزائرية المغربية" تضمن أهم وسائل الضغط الفرنسي على المغرب و معاهدة طنجة ،و كذا توتر العلاقات بين الامير عبدا لقادر و السلطان عبد الرحمان . أما الفصل الثالث جاء تحت عنوان سقوط دولة الامير عبد القادر والاستسلام" تطرقنا فيه إلى استسلام الأمير عبد القادر وتوقفه عن القتال وردود الفعل الناتجة عن استسلامه.

ومن أهم مصادر التي اعتمدنا عليها المرأة احمدان خوجة تحفة الزائر لمحمد عبد القادر والاستسقاء للناصري كذلك إتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لعبد الرحمان ابن زيدان وعصر الامير عبد القادر ناصر الدين سعدوني وتاريخ الجزائر الثقافي أبو القاسم سعد الله وكذلك بعض المذكرات التي تناولت الموضوع كمذكرة ماجيستر بعنوان العلاقات الجزائرية المغربية عهد الامير (1830 – 1847) لنور الدين بلعربي

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا قلة المصادر الفرنسية وفي الاخير رغم توفر الكتابات عن المرحلة إلا أنه يوجد الكثير مما يقول فيه بالاعتماد على المزيد من المصادر والوثائق

# الفصل التمهيدي:

# أوضاع الجزائر و المغرب قبيل الاحتلال الفرنسي

## المبحث الأول: اوضاع الجزائر قبيل الاحتلال

كانت الجزائر أواخر العهد العثماني تحت حكم الداي حسين[1] وهو آخر الدايات في الجزائر، إذ تدهورت أوضاع الإيالة في عهده، حيث انتشرت الفوضى والاضطراب وكثرة الفتن.

المطلب الأول : الأوضاع السياسية

تميزت الإيالة في هذه الفترة بالاضطراب لأن العثمانيون احتكروا السلطة وأبقوا الأهالي بعيدين عنها وعن دوائر الحكم[2]، ما ميز الفترة الأخيرة الفوضى وعدم الاستقرار لأن نظام الحكم كان غير عادل يعتمد على أصحاب النفوذ والامتيازات والمكانة الاجتماعية[3] بالإضافة إلى ميولهم وحفاظهم على العلاقة مع شيوخ القبائل وفرسان المخزن المناصرين الإدارة الريف في البايليك، وعليه فإن نظام الحكم العثماني اعتمد على عاملين عامل القوة والنفوذ وعامل المرجعية الدينية المؤثرة.[4]

كما تميزت بانتشار الفتن والاضطرابات الداخلية لأن الحكام اهتموا بتبذير الأموال وقتل وسفك دماء المسلمين واستولوا على أوقافهم، كذلك تمرد الجند وأصبحوا يعينون الحكام **ويعزلونهم حسب أهوائهم، وكثر قتل وعزل الدايات في إطار الصراع على السلطة، ولم يعد البايات يختارون**

---

[1] هو آخر داي تركي في الجزائر (1818 – 1830) خدم الأيالة أكثر من ثلاثين سنة، حريصا دائما على عدم إراقة الدم البشري، التحق بالجزائر عمل صيادا للسمك ثم تجند في ميليشيا الجزائر كأحد جنود الحامية التركية، ثم ترقى لرتبة عضو في الحيوان، شغل منصب كاتب مخزن الزرع ثم خرجة الخيل، شهدت الأيالة في عهده الكثير من الحروب أجبرته على ترك الحكم وتوقيع معاهدة استسلام الجزائر مع فرنسا في 05 جويلية 1830. أنظر، حمدان خوجة: المرأة، تعر وتق محمد العربي الزبيري، ش .و.نت، ط2، الجزائر، 1982، ص ص 135 – 136. وأحمد الشريف الزهار: منكرات (1754 – 1830)، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش مونوت، ط2، الجزائر ، 1981، ص 141.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج 1، ص144.

[3] صالح عباد : الجزائر خلال الحكم التركي (1514 – 1830)، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2005، ص 61 وما يليها

[4] ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة سعود البابطين للإبداع الشعري، مطبعة مؤسسة ماجد الحكواتي، مكتبة الإسكندرية، 2000، ص ص 106-107.

إلا تبعا لصلاتهم برجال الأوجاق في العاصمة، والرشوة التييدفعونها مقابل المنصب يقول حمدان خوجة:"...كان البايات في الفترة الأولى يعزلون إلا نادرا، ولكن في العقود الأخيرة كثرت التغييرات والاغتيالات في سلك البايات..."[1] ووزعت المناصب على الأقارب أو من يدفع أكبر قدر من المال[2].

أما عن الوضع الخارجي للأيالة، فقد شهد ظهور تكتلات صليبية من أجل قضية الاسترقاق والقضاء على الجهاد البحري[3] في دول شمال إفريقيا عامة، والجزائر خاصة، إذ عرفت أوروبا سلسلة من المؤتمرات أهمها مؤتمرين مؤتمر فيينا 1814 ومؤتمر اكسالاشابيل 1818.[4]

من الناحية العسكرية كانت الإيالة تعاني من نقص في الذخيرة الحربية، وعدم امتلاكها الوسائل دفاعية حربية حديثة، والجيش كان غير منظم وليست لديه القدرة الكافية على المواجهة، وأسندت أموره إلى قائد ليست له أية معرفة بالنظام العسكري، بالإضافة إلى تحطم الأسطول الجزائري في معركة نافارين 1827[5].

المطلب الثاني :الأوضاع الاقتصادية

[1] حمدان خوجة: لمرآة، مصدر سابق، ص 141.

[2] أرزقيشويتام: لمجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (926- 1246هـ/ 1519- 1830م)، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2009، ص 67.

[3] المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة، الأساطير ولواقع، دار القصبة للنشر الجزائر 2009، ج2، ص 10 وما يليها.

[4] فتيحة صحراوي: الجزائر في عهد الداي حسين(1818-1830)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010، ص 28.

[5] حمدان خوجة: لمرآة، مصدر سابق، ص 156.

**دخلت البلاد مرحلة من الركود، لتبلغ درجة من التقهقر والانكماش في معظم المجالات ولا سيما الاقتصادية منها متأثرة بالأوضاع الداخلية والخارجية للبلاد في مطلع القرن التاسع عشر**[1].

بالنسبة للزراعة اعتمدت الجزائر على الطرق التقليدية، ومياه الأمطار نظرا لعدم توفر الخزانات والقنوات الإروائية، ومواد التسميد والمخصبات كانت مجهولة عند الفلاحالجزائري واهتم الفلاحين كثيرا بتربية الماشية (الأغنام التي تدر عليهم ثروة كبيرة إلى جانب الماعز والأبقار والجمال والخيل)[2]. أما قطاع التجارة فقد عرف ركودا، نتيجة إهمال العلاقات التجارية مع إفريقيا، والدول الأوروبية، بسبب سيطرة القرصنة على الحياة في النيابة وما كانت تجلبه هذه القرصنة من بضائع مختلفة، والاحتكار الحكومي إذ أن ديوان الانكشارية كان أكبر تاجر في النيابة.[3]

إن الاقتصاد الجزائري في القرن التاسع عشر لم يجد التشجيع الكافي من حكومة الدايات بسبب سيطرة الطبقة التركية التي كان يمثلها الموظفون الكبار، قادة الانكشارية) على مقاليد الأمور في النيابة، وتراخي حكومة الدايات، الذين سلموا مقاليد أمورهم إلى اليهود مما زاد من حالة التخلف والانحطاط، وبتنديد شعبي واسع النطاق بهذا الضعف الذي بدر من الدايات إزاء (القوى المسيحية والتجار اليهود، وخرق هؤلاء الدايات القاعدة الإسلامية التي تعتمد على مبدأ المساواة والعدالة اتجاه الرعية، وفرض الضرائب والإتاوات[4].

[1] ناصر الدين سعيدوني وآخرون: الجزائر في تاريخ العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر ، 1984، ج4، ص 50.

[2] فتيحة صحراوي: الجزائر في عهد الداي حسين(1818 – 1830م)، المرجع السابق، ص 32.

[3] الغالي غربي وآخرون: لعدوان الفرنسي على الجزائر – لخلفيات والأبعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة دار هومة ، الجزائر، 2007، ص 38.

[4] نفسه، ص 39.

**أما الصناعة ارتكز نشاطها في أغلبه على الحرف اليدوية كصناعة الحرير والصوف والجلود والمناديل والأحزمة ونوع من العمائم، والقماش، بالإضافة إلى النجارة والحدادة وصناعة الأسلحة والذهب** وغيرها من الصناعات [1]، تراجع هذا التطور في مطلع القرن التاسع عشر حيث انحطت نوعيته وتناقصت كميته وتعرض الصناع والحرفيون خلالها إلى أزمة إثر كساد مصنوعاتهم وانخفاض أسعارها بسبب الضرائب التي فرضها الحكام على الحرفيون، وإقبال هؤلاء الحكام على شراء المصنوعات الأوروبية وتشجيع الاستيراد من الخارج، وهذا ما أدى إلى تقلص النشاط الصناعي، الذي كان سببه عدم وجود سياسة اقتصادية واضحة لدى النظام المركزي في الجزائر[2].

**المطلب الثالث : الأوضاع الاجتماعية والثقافية**

اتسم الوضع الاجتماعي بالسوء إذ انتشرت الأمراض والمجاعات والجفاف والأوبئة حتى الكوارث الطبيعية، حيث عرفت الحياة الريفية قسوة شديدة تعرضت في الكثير من الأحيان إلى الغارات التركية لعدم استجابتها للضرائب المفروضة عليها، والصراعات الدموية التي كانت تعيشها القبائل الجزائرية بسبب السياسة التركية المنتهجة، بقي المجتمع يعيش فترة متوحشة وعداوات قاتلة[3]

يضاف إلى ذلك حدوث الكوارث الطبيعية التي أدت إلى تضرر الاقتصاد، وتناقض عدد السكان[4] والفيضانات والعواصف[5]، سببها عدم اهتمام الحكام الأتراك بأمور الصحة وانعدام الأدوية[6] وأصبحت الضرائب تجمع دون مراعاة أية سياسة، أو قانون[1].

---

[1] محمد العربي الزبيري: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي، مطبعة بن بولعيد، الجزائر، 1975، ص 178.

[2] سعيدوني والمهدي البوعبدلي : الجزائر في تاريخ العهد العثماني، موك، الجزائر، 1984 ، ج4، ص 62.

[3] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزئرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزئر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 58.

[4] نفسه، ص 58.

[5] محمود إحسان الهندي: لحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات في الجزائر من العهد العثماني إلى عهد الثورة والاستقلال، دمشق العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، 1997، ص ص 76-77-78.

[6] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 59 وما يليها .

ما زاد في تأزم الوضع هو الثورة التي شهدها الأتراك خلال القرن التاسع عشر، ألا وهي الثورة التي قادتها الطريقة الدرقاوية[2] عام (1219هـ/ 1804م) التي زادت الوضع تأزما.[3]

**الأوضاع الثقافية:**

كان التعليم منتشرا ومستقلا عن سيطرة الدولة، كان السكان ينظمون بطرقهم ووسائلهم تعليم القرآن والحديث والعلوم العربية والإسلامية وقد كان القرآن الكريم أساس التعليم، حيث كانت المدارس تمول بالأوقاف التي كانت مسئولة عن توظيف المعلمين

وتوفير مساكن للطلبة، والمساجد والزوايا قاعدة تعليمهم إذ لعبت دورا كبيرا في تخرج عدد من الطلبة، وفضل المساجد التي كانت تدرس العلوم المختلفة.[4]

تكفل الجزائريون بمشعل العلم رغبة منهم في الازدهار الثقافي والمحافظة على ما توارثوه من علوم ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث العربي الإسلامي، وهاجر التلاميذ إلى مراكش، وتونس، ومصر، والحجاز، والتقوا بعلمائها وتحصلوا العلوم على أيديهم وساهموا في نشر ما حصلوا عليه إثر عودتهم.[5]

لقد توفرت الجزائر على عدد كبير من المكتبات في الجزائر قبل مجيء العثمانيين وقد حافظ عليها أثناء العهد العثماني أيضا، حيث كانت تكتب محليا عن طريق التأليف أو النسخ، أو تجلب من الخارج (الأندلس، مصر، اسطنبول، الحجاز)، والمخطوطات من الدولة العثمانية وبلاد المغرب،

---

[1] حمدان خوجة: لمرآة، مصدر سابق، ص 5

[2] هي طريقة صوفية متفرعة عن الشاذلية، تنسب الطريقة إلى مولاي العربي بن الحسن الدرقاوي (1150 – 1239هـ/ 1737 – 1823م)، الذي يقيم بالمغرب الأقصى في القرن الثامن عشر، انتشرت في الجزائر وكان أتباعها من الأوساط الشعبية، وكانت مراكزها توجد في وهران، وجنوب التيطري. أنظر، فتيحة صحراوي: الجزائر في عهد الداي حسين المرجع السابق، ص 40.

[3] صالح عباد : الجزائر خلال الحكم التركي (1514 – 1830)، المرجع السابق، ص 202 وما يليها .

[4] أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ش.و.نت، ط2، الجزائر، 1982 ص 162.

[5] يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزير، د.م.ج، الجزائر، 1965، ص ص 157 – 158.

حيث جلبوا كتب الفقه الحنفي ونسخ من صحيح البخاري وكتب الأدعية والأذكار التي تصدر عن الطرق الصوفية، والنسخ كان بالخط الأندلسي.[1]

## المبحث الثاني : أوضاع المغرب الأقصى

لقد شهد المغرب الأقصى خلال القرن التاسع عشر حالة من الضعف لم يسبق لها مثيل، نتيجة للصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة، حيث ظهر التفكك والضعف بسبب التنازع على السلطة والخلافات الداخلية. حيث كانت الثورات يا إما بين أبناء السلاطين، أو تمرد أفراد الأسرة على بعضهم البعض.

### المطلب الأول : الأوضاع السياسية

كان السلاطين لعبة في أيدي الجند، لا سيما العبيد يعينونهم ويعزلونهم حسب هواهم ينتظرون المكافآت والهدايا عند تولي أي سلطان الحكم، وضعف شخصية السلاطين، لا يتمتعون بسمات القوة والهبة[2].

ظهر صراع بين أبناء المولى محمد على السلطة دام لمدة ثلاثة سنوات، حتى استتب الأمر لمولاي سليمان (1792- 1822)[3] وحد سلطته في كل أنحاء المغرب وحرر وجدة والمغرب الشرقي من

[1] ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 123.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة السعدية)، تحق وتع جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء للنشر والتوزيع، 1997، ج8، ص ص 114- 115.

[3] أحد سلاطين الدولة العلوية ولد بمراكش في 1766، تمكن من حفظ القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية، واصل دراسته بفاس، وفي سنة 1792 تولي الحكم، فكان رجل علم قبل أن يكون رجل سياسة، وكان كثيرا ما يقدم الشريعة على المصلحة السياسية، توفي عام 1822. أنظر، الناصري: الاستقصا، ج8، مصدر سابق، ص 86 وما يليها .

الأتراك بطريقة سلمية، وسجلت سنوات 1805 و 1810 أوج حكمه، لكن سرعان ما عادت الفوضى في البلاد، وعاد العيد في مكناسة والودايا في فاس بعد الصراعات التي دارت بين المولى سليمان وبربر الأوسط ما بين(1811- 1818)، ثم صراعه مع الشراردة في الجنوب[1] .

**المطلب الثاني : الأوضاع الاقتصادية**

عجز حكومة السلطان عن المحافظة على الأمن، مما أدى إلى ظهور اللصوص الذين اعتدوا على الأجانب، وبذلك سببوا حرجا للحكومة المغربية أمام الدول الأوروبية وقدموا لها المبررات التدخل باسم حماية الرعية والمحافظة على الأمن مثل أحمد بن محمد الريسونيالذي كان يقوم باختطاف الأجانب، وتشجيع فرنسا للسلاطين المغاربة[2]على الاقتراض والتورط في الديون بغرض الاستيلاء على المغربة. الفوضى في الإدارة بسبب شراء المناصب وبيعها، كذلك الحاجة إلى جيش عسكري منظم ومتوازن ووسائل حربية حديثة، وانتشار الثورات الداخلية ( ثورة بوحمارة[3])، مما أدى إلى انتشار الفقر والمجاعة، والبطالة وتدهور الجانب الاقتصادي نتيجة انعدام الأمن والاستقرار[4]. كذلك انتشار المجاعة بسبب الأضرار التي لحقت بالمحاصيل، واضطر المغرب إلى استيراد القمح والحبوب مقابل الأصواف والجلود. وانتشرت الأوبئة مع هجوم أسراب الجراد على جنوب المغرب فقضت

[1] الناصري: ج8، مصدرسابق، ص 121.

[2] الناصري: ج8، مصدر سابق، ص 314.

[3] اسمه الحقيقي هو الجيلاني بن عبد السلام بن إدريس الزرهوني، يجهل تاريخ ولادته، سمي بوحمارة للتقليل من شأنه بعد تمرده على السلطة، بذكائه تمكن من الاستيلاء على جزء كبير من المغرب، تعرض للاعتقال وسجن بالقصر الملكي بمدينة فاس في مكان يسمى بدويريةبوحمارة، توفي يوم الاثنين 13 سبتمبر 1909، بعد رميه بالرصاص ودفن ولم يسمع بوفاته إلا الخواص. أنظر، محمد الصغير الخلوفي: بوحمارة من الجهاد إلى لتأمر(المغرب الشرقي والريف من 1900 إلى 1909، دار النشر للنشر والتوزيع، الرباط، دت، ص 5 وما يليها .

[4] محمد رزوق: دراسات في تاريخ المغرب، أفريقيا الشرق، ط1، 1991، ص 77.

على المراعي والمزروعات، وكثر الفقراءوالمتسولون والمرضى وانتشر مرض الكوليرا بفاس ومكناس وحصد العديد من الضحايا وامتنع التجار عن تقديم تسليفات للفلاحين المغاربة أو الاستثمار في المغرب، وعجز المغرب عن تصدير سلعه الأساسية (الجلود والحبوب والصوف)[1].

**المطلب الثالث : الأوضاع الإجتماعية و الثقافية**

أما في الجانب الاجتماعي، انخفض المستوى المعيشي وارتفعت نسبة البطالة وزاد الفقر والبؤس، وارتفعت نسبة الضرائب، واضطر عدد من التجار والشركات إلى وقف أعمالهم، وتلهفت الدول الأوروبية على امتلاك الأراضي والمزارع المغربية.

أما من الناحية الثقافية، مثل المغرب الأقصى منطقة جذب للعلماء جامع القرويين) مقر للحركة العلمية ومنارة ثقافية فكرية وحواضر أخرى مكناس، أغادير، مراكش، إذ لعب أيضا العنصر الأندلسي دورا بارزا في بناء المساجد والمدارس.

[1] أمل عجيل وآخرون : قصة وتاريخ الحضارات العربية القرن 19-20، ليبيا، السودان، المغرب، (موسوعة تاريخية جغرافية، حضارية وأدبية)، 1998-1999، ص 130.

الفصل الأول :

# العلاقات الجزائرية المغربية على عهد الامير عبد القادر

## المبحث الأول : الأمير عبد القادر وتأسيس الدولة الجزائرية

### المطلب الأول :التعريف بالأمير عبد القادر

هو عبد القادر ناصر الدين الابن الرابع لعبد القادر محي الدين، ولد يوم الجمعة 23 رجب د124هـ/ 25 سبتمبر 1807م[1] بقرية القيطنة[2]قرب مدينة معسكر* بالغرب الجزائري، وهو من أسرة شريفة يتصل نسبها بالإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما خصص له أبوه عاطفة واهتمام غير عادي، إذ كان والده رجل علم وتقوى لديه زاوية يقصدها العلماء ولديه سمعة طيبة عند الناس.[3]

بدأ الأمير تعليمه في المدرسة التي كان يشرف عليها والده، إذ كان لديه نبوغ غير عادي فقد كان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره، وأصبح طالبا عندما كان في الثانية عشرة، وحفظ القرآن الكريم في الرابعة عشرة وكان متمكنا من القرآن الحديث وأصولالشريعة، بدأ يعطي دروسا في جامع الأسرة يفسر أصعب وأعمق الآيات والشواهد، وفي سن السابعة عشرة كان فارسا مهيبا لا يدانيه أو ينافسه أحد.[4]

في عام 1821 انتقل إلى مدرسة بوهران يسيرها سيدي أحمد خوجة، فيها واصل تعليمه وبعد سنتين فقط عاد إلى قريته أين تلقى تعليمه على يد سي أحمد الطاهر قاضي آرزيو وأطلعه على

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر لعام، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 ج4، ص 280.

[2] قرية على بعد 28 كم من مدينة معسكر، مقر أسرة الأمير والتي ولد فيها، هدمها بيجو في سبتمبر 1841. أنظر الأمير عبد القادر : لمذكرات، المصدر السابق، ص 48.

* معسكر مدينة مغربية يعود تأسيسها إلى القرن الثاني للهجرة، تمتد من جبال المناور شرقا إلى جبل كرسوط غربا من القالعة شمالا إلى واد البنيان جنوبا، جعلها السلطان يغمران بن زيان قاعدة لجيشه (الحشم)، وأقام بها الحصون لمحاربة أعداءه لذا اشتهرت بأم عسكر اتخذها الأمير عبد القادر كعاصمة له. أنظر، نور الدين بلعربي: المرجع السابق، ص 42.

[3] برونو اتين: الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، دار عطية للنشر لبنان، ط1، بيروت، 1997 ص17

[4] هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، د.م.ج، الجزائر، 2004 ص ص 61-62.

العلوم الحديثة (الفلك والحساب، والجغرافيا وأطلعه على الشؤون الأوروبية) ثم انضم إلى جماعة رجال الدين وطلاب المعرفة لدراسة العلوم القرآنية[1]. تزوج الأمير عبد القادر شابا يافعا على الطريقة الإسلامية وطبقا لنصوص القرآن .[2]

في سنة 1823 قرر محي الدين أداء فريضة الحج وهو في الخمسين من عمره، أخذ ابنه معه، وفي نوفمبر 1825 وصلا إلى تونس مارين بالمدية وقسنطينة، هناك انضما إلى قافلة تضم ألفي حاج ركبوا جميعا البحر إلى الإسكندرية.[3]

أتاحت هذه الرحلة للأمير عبد القادر فرصة الإطلاع على أنظمة الحكم في الأقطار المشرقية وأوضاعها في مختلف الميادين ومشاهدة ما تعانيه الشعوب الإسلامية من تخلف كما زادته شغف بالعلم فاعتزل لتحصيله فكان لا يفارق كتبه إلا إذا خرج للصلاة أو لتناول الطعام، فقرأ خلال تلك الفترة كل ما وصلت إليه يده من كتب الفقه والحديث والفلسفة والفلك والجغرافيا والتاريخ والرياضيات والطب، فتكونت لديه أثناء هذه الفترة مكتبة ضخمة كانت بمثابة ثروته الدنيوية.[4]

بعد احتلال فرنسا الجزائر قام محي الدين بإرسال أولاده مع حامية قوية للتجول في السهل وحماية المتشردين والمنكوبين، وتقديم الدعم لهم، وهب الأمير عبد القادر هو الآخر للجهادوخاض إلى جانب أبيه معارك عديدة أبرز فيها قوته وعبقريته ، إذ رشح للقيادة وعمره لا يتجاوز 25 سنة، إذ تمت بيعته وفق ما كانت عليه في زمن الخلفاء الراشدين، حيث اجتمع

[1] بسام العسلي: الأمير عبد القادر الجزئري(1222-1300هـ/ 1807-883
1م)، دار النفائس، ط1، بيروت 1980، ص 20

[2] هنري نتشرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 65.

[3] بسام العسلي: المرجع السابق، ص 22

[4] نفسه، ص 25.

علماء المنطقة وزعمائها وخيموا تحت شجرة الدردارة، جلس الأمير عبد القادر تحت الشجرة وقام والده فبايعه على السمع والطاعة وبايعه الباقون وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية. وفي 13 رمضان 1248هـ/4 فيفري 1833م، حصلت البيعة الثانية للأمير عبد القادر في ساحة مسجد معسكر، وهي تدعو الجميع للتأييد التام والطاعة المطلقة لتأمين العدالة واستباب الأمن ومقاومة الاحتلال الفرنسي على أرض الجزائر .[1]

اتخذ الأمير عبد القادر معسكر عاصمة له، ودعا مختلف قبائل المنطقة إلى توحيد الصفوف من أجل الوقوف في وجه العدو، وعين الميلود بن عراش [2] وزيرا للخارجية من أجل إيجاد حلفاء له في الخارج، غرضها الاعتراف بدولته، وتوثيق صلته بالدول المجاورة خاصة سلطان المغرب الأقصى. ثم مضى إلى بناء الدولة الحديثة، ورفع راية الجهاد في سبيل الله خلال تلك المرحلة التاريخية.[3] بعد إتمام البيعة كاتب الأمير عبد القادر سلطان المغرب بغرض إجازة بيعته، وكانت الخطب تذكر باسمه وكان الأمير يعترف في كل مناسبة بأنه خليفة للسلطان وهذا ما تؤكده الرسالةالتي بعثها إليه والتي تتضمن ما يلي: "خديم حضرتكم، الباذل جهده في مرضاة الله ورسوله ثم مرضاتكم، المتوكل في كل أموره على الله وعليكم، الموضوع اسمه بالخاتم..."[4].

---

[1] أديب حرب : التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808 – 1847)، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1983 ج 1 ص 88.

[2] ولد بيني شقران (وهران)، عينه الأمير أغا الشرق (أم عسكر) تحت خلافة ابن التهامي وكان ذا خصال متميزة بالحنق والمهارة جعلته ينال حظوة كبيرة لدى الأمير الذي أسند إليه مهام الشؤون الخارجية، فأشرف على إبرام معاهدة ديميشالوالتافنة وحمل الهدايا إلى ملك فرنسا لويس فيليب، كما أن تعاطيه التجارة سمح له بربط علاقة وثيقة مع بعض الأوساط الرأسمالية من يهود وفرنسيين جلبت إليه الشكوك والاتهامات بإثراء مصالحه الخاصة. أنظر، محمد بن عبد القادر : تحفة الزبر في تاريخ الجزئر والأمير عبد القادر، عني به داوود بخاري ورابح قادري، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر 2012، ج1، ص 195.

[3] نفسه، ص 195 وما يليها .

[4] أنظر الملحق رقم 01

**المطلب الثاني : بيعة الأمير عبد القادر وتأسيس الدولة الجزائرية**

1- بيعة الأمير عبد القادر

تميز الوضع الاجتماعي والسياسي في الجزائر في غاية الفترة الحديثة وبداية الفترة المعاصرة، نشاط الطرق الصوفية التي كان لها دور فعال في توجيه الحياة الثقافية والسياسية للجزائريين، عايلة على صقل روح الانتماء والمحافظة على الهوية الإسلامية ومقوماتها العربية من جهة، وتأطير المواقف السياسية من جهة ثانية [1]، كما لعب الدين في هذه الآونة دورا كبيرا في السياسة والحرب والأدب [2].

ومن أهم الطرق الصوفية التي ذاع صيتها في بداية هذا القرن الطريقة القادرية [3]التي تنسب إلى سيدي عبد القادر الكيلاني [4]، دفين بغداد، والملقب بسلطان الأولياء، التي انتشرت في منطقة التل الوهراني خاصة، حيث تقيم القبائل العربية المعته بأصولها والمشهورة بشدة بأس فرسانها[5]

[1] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الإبداع الشعري الكويت 2000 ،ص 113.

[2] عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004 ص 50

[3] الطريقة القادرية انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني على الخصوص بمنطقة الجنوب الوهراني والهضاب العليا، وتفرعت إلى قسمين : العيساوية والعمارية . ينظر : عائشة بن ساعد، مرجع سابق ، ص 55.

[4] هو أبو عبد القادر محي الدين بن أبي صالح بن عبد الله بن يحي الكيلاني، ينتهي نسبه إلى عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن علي، ولد بقرية نيف بجيلان قرب بغداد عام 1079م للمزيد حول هذه الشخصية ينظر: عبد القادر الجيلاني، السفينة القادرية، تع محمد المنلا، منشورات مكتبة النجاح، طرابلس، ص 97

[5] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص 114.

وانتسبت لهذه الطريقة في أوائل القرن التاسع عشر ثلاثون زاوية[1]، أهمها زاوية القيطنة[2]التي أسسها الحاج مصطفى بن المختار الغريسي، الذي خلفه بعد وفاته ابنه الأكبر الشيخ محيي الدين[3].

كان الشيخ محيي الدين من أبرز الوجوه الدينية والسياسية في الغرب الوهراني[4]، وذلك لما أظهره من الورع الكاول، والهير الفائض، وصلاح الأي، وحسن التدبير[5]، وخاصة بعد سلسلة الانتصارات التي حققها ضد الفرنسيين في خنق النطاح[6]، أين بدأت تظهر عليه ملامح القائد، فكانت هذه الإشارات دافعة قوية للمرابطين وأعيان الناحية يعرضوا عليه قيادة البلاد، ولكنه رفض معتذرا بكبر سنه[7]، وعرض عليهم من هو أصلح لها وأقدر، ولده عبد القادر [8]، «..**إنكم تعرفون اني رجل**

---

[1]Louis Marie Rnn « Marobouts et khouan Etude sur l'islam en Algérie », Ed Adolphe Jordan libraire ,Alger, 1884 ,p200.

[2]القيطنة : قرية على بعد 28 كلم من مدينة معسكر، مقر أسرة الأمير عبد القادر إختطها جده مصطفى بن المختار سنة 1206هـ -1791م، وفيها ولد الأمير، وعرفت آنذاك إشعاعا دينيا وثقافيا معتبرا يفضل زاويتها القادرية، وقد هدمها بيجو في سبتمبر 1841 وهي اليوم بلدية تابعة لدائرة بوحنيفية ولاية معسكر .

[3]ناصر الدين سعيدوني ، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص114.

[4]يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين ، ج1 ، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 36 .

[5]عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 283 .

[6]تشرشل ، مصدر سابق ، ص 52 .

[7]صلاح العقاد ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، المكتبة الأنجلو مصرية ، مصر ، طه ، 1993، ص 100.

[8] ولد الأمير عبد القادر يوم الجمعة 23 رجب سنة 1222هـ الموافق ل25 سبتمبر 1807م بالقيطنة الواقعة بواد الحمام شمال غرب مدينة معسكر، ولد في بيت عريق في العلم والسؤدد والصلاح، بيتسيد قادة بن المختار من قبيلة عربية ذائعة في الصيت المعروفة بالحشم المنحدرة من قبائل سليم وزغبة، نشأ عبد القادر في أحضان والده محي الدين وتربى في عشيرته وقومه، وسلك مسالك آبائه وأجداده، جامعة بين آداب الدرس وآداب النفس ، فحفظ القرآن وختمه وهو لا يزال فتى، وأحب الفروسية فكان صاحب سيف وجواد منذ صباه، ولحب والده له فإنه صحبه معه إلى الحج سنة 1827م وعمره إذ ذاك عشرون عاما، فطاف معه أشهر بين عواصم المشرق الإسلامي، فذهب من تونس إلى القاهرة، ثم دمشق وبغداد والحجاز، وهناك تعرف على كبار الشخصيات كعبد الله الكزبري إمام دمشق ومحدثها، وضياء الدين خالد النقشبنديالسهروردي، والشيخ محمد القادري نقيب أشراف بغداد وغيرهم ، وبعد رجوعهما إلى أرض الوطن رفقت والده، عكف على التبحر في العلوم فيقال أنه اشترى نفائس الكتب في سفره فقرأ الرياضيات والعلوم والطب والفلسفة _ للاطلاع أكثر . ينظر : هنري شرشل مصدر سابق؛ والأمير عبد القادر، مصدر سابق، وأف. دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر ،تر تق أبو العيد دودو، دار هومة ، الجزائر ،2012م ، ص 20.

**سلام مكرس نفسه لعبادة الله وأن الحكم يقتضي استعمال القوة يغلظة ويسفك الدماء ولكن مادمتم تصرون على أن أكون سلطائكم فإني أقبل، ولكن أتنازل عن ذلك لصالح ابني عبد القادر** ..»[1]. وذلك بعد أن أثبت شجاعته في واقعي خنق النطاح، وفي الثانية بالخصوص[2] ، والتي قادها الأمير الشاب لوحيه بعد أن غاب والده محيي الدين ، حيث كانت فرصة لاختبار چنته العسكرية[3].

أخذ عبد القادر – الأمير الشاب – البيعة في 21 نوفمبر 1832م، وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره[4]، ورغم صغر سنه استطاع أن يتحمل مسؤولية الجهاد[5]، فكان ابن محيي الدين شاب ينتقد حماسة وبأسا، وبقدر هذا الحماس كانت المسؤولية كبيرة، وهي طرد الفرنسيين من البلاد، وإقامة دولة عربية إسلامية[6]، وكان ظهور الأمير الشاب على مسرح الأحداث، وتوليه القيادة في هذه الفترة الحالكة من تاريخ الجزائر، قرصة أمام الجزائريين لإقامة دولة أساها الدين وقوامها الأخى والتفاهم، وهذا ما يؤسس قاعدة لبناء دولة وطنية لا تقوم على الإكراه، ولكن تستند إلى مبادئ العدل، والتعاون بين الجميع، وقد تم ذلك عندما تصب الأمير على رأس الإمارة، واعرف له بالزعامة في بيعتين متتاليتين [7] .

---

[1] تشرشل، مصدر سابق ، ص 56 .

[2] شوقي أبو خليل ، الإسلام والحركات التحررية العربية ، دار الرشيد ، دمشق ، ط1 ، 1976 ، ص 69.

[3] هوارية بكاي ، الاحتلال الفرنسي المنطقة تلمسان وردود الفعل الوطنية " الأمير عبد القادر الجزائري نموذجا" ، مجلة القرطاس ،العدد 1، 2012 ، ص 235.

[4] يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ، مرجع سابق ، ص 37.

[5] عائشة بن ساعد، مرجع سابق ، ص 67.

[6] عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي ، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط2 ،1985 ، ص 44.

[7] ناصر الدينسعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص ص 203 – 204 – 205

**2- بناء الدولة :**

اتخذت البيعتان وبالخصوص الثانية ( 04 فبراير 1833م ) طابعة وطنية وصبغة شرعية [1]، مكّنت الأمير أن يتصرف كسلطان[2]، حيث شرع بعد أن استتب له الأمر في تشكيل الحكومة التي سميت الديوان، وكان مقرها معسكر[3] ، وعين على رأس الديوان الحاجب وهو السيد محمد بن العربي ويساعده في عمله ثلاثة وزراء وهم : السيد أحمد بن علي أبو طالب، والحاج مصطفى بن التهامي، والسيد الحاج الخروبي، أما المستشار (حاجب الأمير فهو محمد علي الرحاوي[4]، كما انتهج الأمير سياسة إدارية تقوم على نظام المقاطعات، حيث يتولى كل قطاع خليفة يمثل الأمير وتكون تحتتصفيه مجموعة من الأغوات، كسب هذا النظام اشتملت دولة الأمير في أول أمرها على مقاطعتين رئيستين، هما مقاطعة الشرق ومقها معسكر، وتتكون من سبعة أغليكات، تولاها ابن عم الأمير أحمد بن التهامي [5]، ومقاطعة الغرب ومركزها تلمسان، وتتشكل من خمسة أغليكات

[1] نفس المرجع ، ص 206.

[2] نقولا زيادة ، صفحات مغربية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ،2002 ،ص 100.

[3] مدينة تبعد عن وهران ب 95 كم بالجنوب الشرقي وهي من المدن الهامة بالغرب الجزائري ومن أقدمها، أسسها الرومان وأطلقوا عليها تسمية كاسترانوفا أي المدينة الجديدة، وفي القرن 6 هـ 12م جعلها الموحدون قلعة عسكرية، ثم أصبحت في عهد الزيانيين إقليما للعرب، وفي العهد العثماني صارت عاصمة بايلك الغرب في عهد مصطفى بوشلاغم، واستمرت عاصمة البايلك حتى سنة 1792م - ينظر سيرة الأمير عبد القادر الذاتية، مصدر سابق ، ص 47.

[4] إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط2 ،2007 ، ص 35.

[5] هو الحاج مصطفى بن أحمد التهامي ولد سنة 1796 كان والده مفتيا في عهد العثمانيين، ولما بويع الأمير عينه على رأس ديوان الإنشاء، وبعد وفاة الخليفة ابن فريحة في حادثة خلال حصار تلمسان عينه الأمير خلفا له على مقاطعة الشرق معسكر، ثم قائدا للدائرة بعد هزيمة الزمالان وهو ابن عم الأمير عبد القادر وأحد المقربين والمخلصين له _ ينظر : سيرة الأمير، مصدر سابق ،ص166.

عليها الخليفة محمد البوحميديالولهاصي[1]، ثم تعددت المقاطعات بعد أن توسعت دولة الأمير وانتظم أمرها[2].

يقوم النظام الإداري لدولة الأمير عبد القادر على الهياكل القديمة لنظام البايلك، الذي أثبتت بعض تنظيماتيه ملاءمتها للبيئة الجزائرية، مع تعديلات اقتبستها من بعض النظم المعمول بها في الدولة العلوية بالمغرب الأقصى، لمرونتها وتماشيها مع النظام القبلي السائد في الريف، أما جيشه فكان منظمةعلى غرار الجيوش الأوروبية الحديثة، حيث بلغ في أقصى قوة الأولة حدود 153000 جندي ، مزودين بأحسن الآلات الحربية، وأحدث الأسلحة العصرية [3]، وقد قسم هذا الجيش إلى ثلاثة فرق:

- فرقة المشاة

- فرقة الخيالة

- فرقة المدفعية

وبالإضافة إلى هذا الجيش النظامي شكل الأمير يشأ آخر بين المتطوعين[4] ، وكان نظام الجنيد يقوم على مبدأ التطوع لقريضة الجهاد على الأفراد القادرين على حمل السلاح، مقابل مرتبات قارير، فضلا على إنشاء الحصون وتشييد المن وإنشاء مصانع للسلاح[5].

[1] محمد بن عبد القادر البوحميديالولهاصي ينتمي إلى قبيلة ولهاصة البربرية المتواجدة بجبال ترارة بتلمسان وعرف بصلابته وورعه، كلفه الأمير بمدينة تلمسان ليكون خليفة عليها عند جلاء الجينرالكافينياك منها في 25 جوان 1837م _ ينظر: نفس المصدر ، ص197 .

[2] ناصر الدين سعيدوني ،عصر الأمير ، مرجع سابق ، ص ص 215 213

[3] شوقي أبو خليل ، مرجع سابق ، ص 70.

[4] محمد علي الصلابي، مرجع سابق ، ص 371.

[5] ناصر الدين سعيد ويني ،عصر الأمير، مرجع سابق، ص218.

**المطلب الثالث : العلاقات الخارجية لدولة الأمير عبد القادر**

حرصا من الأمير على تثبيت أركان دولته، وفرض وجوده إقليمية ودولية أقام اتصالات سياسية وعلاقات دبلوماسية مع الدول التي كانت لها علاقة مع الجزائر، أو أظهرت اهتماما بأوضاعها، حيث كان قوام هذه العلاقات العامل بالمثل، وضمان المصالح المشتركة[1]، وكانت سياسته الخارجية تعتمد على إيفاد المبعوثين في المراسلات و اعتماد كلاء، فبرز في النشاط الدبلوماسي لدولة الأمير عبد القادر رجال محتكون ذوو كفاء و منهم محمد البوحميدي، والميلود بن عراش[2] من قبيلة الغرابة الذي يعتبر بحق أفضل شخصية سياسية في المجال الدبلوماسي، كما كان للهويرينيولااوتشي، وابن داران، دور في اتصالات الأمير مع الممالك الأوروبية [3].

هذا عن الأولي الجزائرية التي أقامها الأمير عبد القادر الجزائري، والتي من خلالها نستطيع تبع واقع العلاقات الجزائرية المغربية، وذلك بالوقوف على حقيقة العلاقات التي تلت الأمير عبد القادر والسلطانالمولاي عبد الرحمن بن هشام، مستعرضين في ذلك الأحداث التاريخية وانعكاساتنا على هذه العلاقة مرحلة فمرحلة.

[1] في نفس المرجع، ص 220.

[2] ولد ابن عراش ببني شقران في أسرة متواضعة حوالي سنة 1800م، حيث نشأ في رعاية والده الذي كان آغا عند بايات وهران ، وكان ذا خصال متميزة بالحذق والمهارة جعلته ينال حظوة كبيرة لدى الأمير الذي أسند إليه مهام شؤون الخارجية، فأشرف على إبرام معاهدة دي ميشال و تافنة . له عدة سفريات أشهرها إلى ملك فرنسا لويس فيليب _ ينظر: سيرة الأمير عبد القادر الذاتية ، مصدر سابق ، ص 171.

[3] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص 221.

## المبحث الثاني :موقف السلطان المغربي من مقاومة الأمير عبد القادر

### المطلب الأول :التعريف بسلطان المغرب المولى عبد الرحمان بن هشام

من مواليد 1204هـ/ 1790م، منذ نشأته عرف بالتقوى والعفاف، جميل الأوصاف أحبه الناس، اهتم بنشأته عمه السلطان سليمان ورفع منزلته.[1] اتصف بمكارم الأخلاق، محب للخير، وملجأ للضعفاء والمساكين، وسيف الله على المعتدين، عرف بتواضعه وورعه، وعدله وأنه إمام الحق، تميز بالشجاعة وكان ذو صلابة في الدين، ولاه عمه أبو الربيع سليمان أمانة ثغر الصويرة وعمالتها، ثم نقله للخلافة عنه بفاس عام 1237هـ/ 1821م، فأحسن السيرة وقام بأموره أحسن قيام، ثم وجهه مع أولاده اللحرمين الشريفين بقصد أداء فريضة الحج، تولى العرش بموجب وصية عمه المولى سليمان بالخلافة بعد وفاته، كانت بيعته بفاس في 15 ربيع الأول 1238هـ بويع له بالعاصمة المكناسية سنة 1822م، اهتم بأمور الرعية وأحسن فيها، ولما فرغ من الترتيبات الداخلية خرج من فاس ليتفقد الأحوال، رحل إلى الرباط، ثم عاد إلى فاس وخرج إلى العاصمة المكناسية، واتخذ الجيش من خمسة قبائل، واهتم بكسوتهم وراتبهم.[2] لقد عرف المغرب في عهده تطورا كبيرا في المجال السياسي والاقتصادي، حيث تمكن من تحقيق الكثير من الانجازات واهتم بالعلم والعلماء، أما الدولة العثمانية كانت تعاني في ذلك الوقت من أزمات ومشاكل بسبب الضعف الذي آلت إليه، وظهور الحركات الانفصالية في هذه المرحلة من المسألة الشرقية، اصطدمت أوربا من جديد ببلاد المغرب وبدأت الأطماعفي شمال إفريقيا حيث نجد بريطانيا تتمسك بجبل طارق منذ 1704 محاولة إقصاء غريمتها فرنسا من المنطقة، وفرنسا تسعى إلى قطع

[1] الناصري: الاستقصا، ج9، المصدر السابق، ص 3.

[2] عبد الرحمان بن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينيةالقاهرة، 2008، ص 7 وما يليها.

الطريق التجاري أمامها المؤدي نحو الشرق.[1] استطاع المولى عبد الرحمان أن يواجه المشاكل على العكس ما حدث في عهد المولى سليمان، ويقف في وجه الهزائم التي كانت في فترة هذا الأخير لكنه واجه عدة مشاكل بعد دعمه للأمير عبد القادر، وما لحقه من المتاعب والصراع مع الحكومة الفرنسية جراء هذا الدعم ليتلقى هزيمة كبرى وعظيمة سنة 1844[2]، ألا وهي واقعة إيسلي .*

**المطلب الثاني:أشكال الدعم المغربي للأمير عبد القادر**

بعد احتلال فرنسا الجزائر سنة 1830، تعاطفت معها العديد من الدول ومنها المغرب الأقصى الذي لعب سلطانه عبد الرحمان بن هشام دورا كبيرا في دعم الشعب الجزائري من أجل الجهاد والمقاومة لطرد العدو الفرنسي من أراضيه، إذ عرفت مرحلة ما بين (1830 -1844) دعما قويا من طرف السلطان عبد الرحمان، والشعب المغربي الذي أبدى دعمه منذ الوهلة الأولى، ويمكن إبراز هذا الدعم في نوعين من المساندة:

**أ/ الدعم المادي :**

بدأ الدعم المغربي الرسمي للقضية الجزائرية منذ أن استنجد أهالي تلمسان بالسلطان عبد الرحمان الذي قام بإرسال ابن عمه مولاي علي لنجدة أهالي تلمسان، أوصاه بالجهاد ومقاومة العدو ومعاملة الناس معاملة حسنة، إذ وجه السلطان الجيوش والمؤن والخيل والمدافع والأعلام إلى مدينة تلمسان، قام بتوجيه عدة رسائل لابن عمه يوصيه بالسير وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، حيث أرسل في 06 جانفي 1831 ، 200 فارس من جيش البخاري برئاسة أحد القادة وجنود من

[1] جون. وولف: الجزائر وأوروبا (1500 – 1830)، ترجمة أبو القاسم سعد الله، م، و، ك، الجزائر، 1986، ص449 .

[2] بسام العسلي: الأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 146 وما يليها

* نهر مشترك بين الجزائر والمغرب، يرفده نهر تافنة من يساره. أنظر، بسام العسلي: المرجع السابق، ص 147. 3 – نور الدين بلعربي: المرجع السابق ص 44.

العرب والبربر، وكمية من سلاح المدفعية ، و 140رجل من الصويرة، 140 من جيش عبيد البخاري من مراكش، وأكثر من 100 فارس من جبالة والريف وكلهم في غاية التزويد[1].

– معاملة السلطان الحسنة للمهاجرين الجزائريين الذين فروا من ظلم واضطهاد الفرنسيين واعتبر ذلك من ميزات الإنسان المسلم وأن الدين الإسلامي يحث على جمع المسلمين ولم شملهم، وخصص السلطان عبد الرحمان الشرفاء من الجزائريين صلات قدرها 500 مد فاسي من القمح و 500 مثقال[2]، زيادة على صلاته لهم في الأعياد والمناسبات.[3]

– السماح للمغاربة بجمع ما أمكن من المساعدات المختلفة كالحبوب والأسلحة، كذلك الخيول من مختلف أنحاء المغرب وإرسالها إلى المجاهدين في الجزائر، وتأمين القوافل المحملة بالسلاح والذخيرة الحربية والحبوب القادمة من مضيق جبل طارق، والموجهة إلى الجزائر عبر طنجة مرورا بفاس ووجدة.[4]

– تحريض القبائل المتاخمة للحدود الجزائرية ودعوتها إلى الجهاد إلى جانب قوات الأمير

عبد القادر، وامتناعه عن استخدام القوة ضد هذه القبائل لصدها عن الجهاد إلى جانب قوات الأمير، رغم ضغوط الفرنسيين بدعوى انعدام الأمن وصعوبة التحكم فيها[5].

– أرسل السلطان عبد الرحمان للأمير عبد القادر سنة 1833، 100 بندقية ومثلها من السيوف، وكميات من الذخيرة وتلقت في سنة 1841 شحنة أسلحة من المغرب [6] قدرت بألف

[1] إسماعيل حامت: الحكومة المغربية واحتلال لجزير، تق علي تابليت، تر وتص زكي مبارك ومحمد الخواجة منشورات ثالثة، الأبيار، الجزائر، 2011، ص 37 وما يليها

[2] محمد أمطاط: المرجع السابق، ص ص 44 – 45.

[3] نفسه، ص 54 وما يليها .

[4] نور الدين بلعربي: المرجع السابق ص 53.

[5] نفسه، ص 53.

[6] الكولونيل سكوت : مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، تر وتع إسماعيل العربي ش .ونت، الجزائر، 1981، ص 70.

بندقية وبعض الحمولات من البارود، والأسلحة وبعض الأسلحة التي اشتراها الأميرعبد القادر من المغرب التي كانت تأتي من جبل طارق وتمر عبر الحدود بمساعدة السلطان.[1]

– لقد قدم السلطان عبد الرحمان للأمير مساعدات في أواخر 1833 تمثلت في عدد من الخيول والأموال، وأنواع من الأسلحة الخفيفة والثقيلة والذخيرة الحربية بواسطة الحاج طالب بن جلون الفاسي[2]، وأمده في نفس السنة ب 100 بندقية و100 سيف، وكميات من الذخيرة[3]

– أرسل السلطان عبد الرحمان في سنة 1834 إلى مدينة معسكر 100 بندقية عربية وألف رطل من البارود، وأرسل سنة 1837 أقمشة حريرية وبعض الأسلحة، وفي 28 أكتوبر 1838 تم تزويده عن طريق الحاج الطاهر المكلف بإدارة الأعمال التجارية وشراء الأسلحة، ب 400 بندقية انجليزية بمحاربها، و 200 مسدس، 300 سيف حجر النار وبعد مرور ثلاثة أسابيع وصلت دفعة جديدة من المغرب تحتوي على 4 مدافع من طرف الحاج الطالب بن جلون، أرسل إلى وهران في نفس السنة حوالي 6 آلاف رطلا من النحاس الجيد و حمولة 70 جملا من الفحم الطبيعي، وقافلة تحتوي على ألبسة للجنود وأحجار النار والفشك "الخرطوش"، و 600 سيف من فاس و 400 أو 500 بشطولة[4] وقام طالب بن جلون كان في تلك الفترة وسيط في جبل طارق بإرسال 400 بارودة انجليزية، و 20 حمولة من البارود، 30 حمولة من الألبسة و 20 حمولة من الكبريت و 15 حمولة من ملح البارود.

[1] إسماعيل العربي: لمقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ش.و.نت، الجزائر، ص 267.

[2] هو ابن رئيس الوزراء المغربي، كانت مهامه على الصعيد التجاري و كيلا تجاريا بمدينة فاس قائما بأعمال الأمير عبدالقادر.

[3] عبد القادر سلاماني: الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة ( 1832-1847)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2008، ص 30.

[4] نفسه، ص 31.

– أرسل أيضا مدافع موجهة إلى تلمسان، وتم شراء 1500 أو 2000 بندقية وكمية كبيرة من المسدسات وبعض قطع المدافع، ووصلت أيضا السيوف والخناجر وأخشاب البنادق.[1]

– لقد وصلت في سنة 1841 شحنة من المغرب تحتوي على حوالي ألف بندقية، وعدة أطنان من البارود، وفي 1 سبتمبر من نفس السنة وصلت قافلة من فاس تتكون من 60 بغلا مثقلة بالأقمشة وبمائة برميل من البارود[2].

– تكوين مجلس للفتوى من الفقهاء لدعم حركة الجهاد في الجزائر، والتشاور حول قضايا المارقين وكيفية معاقبتهم، وبذلك إعطاء شرعية لسلطة الأمير في مقارعة الكفاح ومحاربة المرتدين الذين شايعوا الكفر والنفاق، وجعل الأراضي المغربية ملاذا[3] آمنا لدائرة الأمير عبد القادر يلجأ فيها الفارين من الجيش الاستعماري، واتخاذها كقاعدة خلفية للحركة الجهادية التي كان يقودها الأمير عبد القادر.[4]

– نجاح الأمير عبد القادر في الاستيلاء على تلمسان سنة 1834، أثار حماس البلاط المغربي وسكان المغرب، وقام السلطان بمد الأمير بالقمح والشعير والأسلحة والذخيرة والكثير من الأموال.[5]

– كان الأمير يجول الأراضي المغربية دون عناء وكأنه في بلده، وهذا كله من حسن السلطان. وكان لهذا الأخير دين على الأمير عبد القادر ولم يطالبه به بالرغم من معرفته أن خزينة هذا الأخير مكتظة بالأموال خاصة بعد عقد معاهدة ديميشال.

---

[1] عبد القادر سلاماني: المرجع السابق، ص ص 31-32

[2] سكوت: مذكرت، المصدر السابق، ص149.

[3] أنظر الملحق رقم 02

[4] هنري نتشرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 286.

[5] بوعلام بسايح: أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف ولقلم (1830-1954)، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 20.

**ب/ الأعم المعنوي :**

تمثل الدعم المعنوي في تلك النصائح والتوجيهات التي يراها السلطان صالحة للجهاد ونصرة المقاومين، والتي كانت في جلها عبارة عن رسائل موجهة للأمير، كان السلطان يخاطب الأمير بالولد البار في قوله: "محل الولد البار لأحظى، المجاهد لأرضي، السيد عبد القادر بن محي الدين أمدك الله بالعون واليقين ونظمنا جميعا في سلك عباد الله المتقين وسلام الله الأتم ورضوانه الشامل الأعم، يتولى لديك في المواقف، ويخصك بتواتر الأمداد الربانية والعوارق، ورحمة الله تعالى وبركاته تتلى و تتوالى..."[1]. الدور الذي لعبه العلماء المغاربة بالمساهمة في تدعيمه معنويا من خلال أجوبتهم على كل استشاراته التي قاموا بها بأمر من السلطان[2].

**المطلب الثالث: الموقف الفرنسي من الدعم المغربي للأمير عبد القادر**

بعد أن وصلت أخبار الدعم المغربي للأمير عبد القادر إلى السلطات الفرنسية، بادرت وبكل وسائلها للقضاء على هذا الدعم سواء عن طريق استخدام الطرق الدبلوماسية، أو استعمال أسلوب التهديدات كما فعلت مع السلطان عبد الرحمان، واللجوء في بعض الأحيان إلى استخدام القوة العسكرية، إذ كان همها الوحيد هو قطع الإمدادات المغربية وإضعاف مقاومة الأمير عبد القادر وجعل الجزائر تابعة كليا لها. لقد كان لموقف سلطان المغرب صدى كبيرا لدى الأوساط السياسية بفرنسا إذ بدأ تدخلها مباشرة بعد إرسال السلطان عبد الرحمان ابن عمه مولاي علي استجابة لسكان تلمسان، حتى أن هذا التدخل لم يكن من الحكومة الفرنسية في حد ذاتها وإنما

[1] عبد الرحمان ابنزيدان: ج5، المصدر السابق، ص 82.

[2] أنظر بعض الرسائل التي وجهها الأمير عبد القادر إلى علماء فاس المصدر السابق، ص 45 وما يليها .وأجابوه عنها. الناصري: الاستقصا، ج9

من نائب قنصل فرنسا فيطنجة "دولابورت"، أما الرد الثاني صدر عن الجنرال كلوزيل[1] قائد قوات الاحتلال الذي انفجر غضبه حين سماعه خبر تلمسان، مع أنه لا يتمتع بأي سلطة سياسية تخول له بذلك وقام بالاتصال بنائب قنصل فرنسا في 30 نوفمبر 1830 كلفه بإرسال رسالة احتجاج شديدة اللهجة إلى المولى عبد الرحمان بن هشام باسم الحكومة الفرنسية[2].

ثم أرسلوا إنذارا آخر في 31 جانفي 1831 تمثل في رسالة، بعثت مع كبار ضباط القيادة العليا في الجزائر أوفراي" ليسحب المولى عبد الرحمان قواته مع تسليم ابن عمه علي ويقوم بتقديم تعويضات الخسائر التي تكبدتها وهران، وهذا ما يدل على إستراتيجية فرنسا العنيفة في خلق مشاكل منذ البوادر الأولى للدعم المغربي للأمير عبد القادر.

استغلت فرنسا ما قام به مولاي علي في تلمسان، من سياسة البطش والتعسف، وفرض الضرائب وانتهاك أموال الأهالي، وتدخلت بحجة أن الجزائر واقعة تحت الاحتلال الفرنسي واعتبار هذا العمل مساسا بمصالحها وبحدود الدولة الجزائرية.

أرسلت فرنسا سنة 1831 سفينتين حربيتين إلى ميناء طنجة بصدد التهديد، والضغط على السلطان عبد الرحمان الذي كان رده أن العرب من قسنطينة وبلاد الجرير حتى تلمسان بايعوه سلطانا عليهم وبطريقة شرعية[3]. مذكرة إياها بتهديد 31 جانفي 1831. أرسل الملك الفرنسي

[1] الجنرال كلوزيل : ولد في سنة 1772 بمدينة أرياج الفرنسية، تولى عدة مناصب في السفارات الفرنسية كملحق عسكري، وفي 7 أوت 1830 عين على رأس القوات الفرنسية في الجزائر (1835-1838)، توفي في 21 أفريل 1842. أنظر، أديب حرب : التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج 1، المرجع السابق، ص 212.

[2] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 7.

[3] نفسه، ص 10.

لوي فيليب[1] سفيرا إلى المغرب الأقصى " الكونت درمورلي"، إذ أوصى وزير الخارجية مندوب الملك باستعمال أسلوب ولهجة معتدلة لكن بصرامة حتى يؤثر في

السلطان عبد الرحمان، وفي 22 مارس 1831 استقبل المولى عبد الرحمان الكونت دو مورلي يحمل في طياته رسالته نفس المطالب الأولى، ويوصيه بعدم التدخل في الجزائر مستقبلا.[2]

قام السلطان عبد الرحمان مضطرا تحت تهديدات الحكومة الفرنسية إلى سحب قواته من تلمسان[3]، وهذا ما جعل فرنسا تخطط أكثر من أجل منع أية علاقة دعم تربط بين سلطان المغرب والأمير عبد القادر. تأكدت فرنسا أن الضغط الدبلوماسي على السلطان أبدى نتيجة، وأن السلطان لو كان في أوج قوته لما سحب قواته من تلمسان. في أواخر سنة 1832 أرسل السلطان عبد الرحمان إلى الأمير عبد القادر 100 بندقية وما يماثلها من السيوف، وكميات من الذخيرة، فقام الجنرال ديميشال[4] بتقديم تقرير مفصل عن هذا الحدث إلى وزير الحربية في 10 جانفي 1834 يبرز فيه مدى خطورة هذا الدعم وقامت الحكومة بتوجيه احتجاج شديد اللهجة إلى السلطان يطلب منه احترام ما سبق التعهد عليه[5]. وضع حامية صغيرة لمراقبة الشواطئ في أكتوبر 1835، سعيا لقطع التموين عن الأمير[6].

---

[1]لقد دام حكم لويس فيليب الذي كان مريضا بالمظاهر 18 سنة، والذي قال في حقه بيسمارك كلمته الشهيرة" من بعيد شيء ومن قريب لا شيء"، إلا أن قضي على الملكية في الثورة الثالثة عام 1848، ثم أقيمت الجمهورية الثانية فذهب لويس وعائلته إلى بريطانيا التي توفي فيها بعد سنة، وقد بلغ من العمر 77 سنة. أنظر، عبد الكريم الفيلالي: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، شركة ناس للطباعة، ط1، القاهرة، 2006، ج5، ص 58

[2]عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق، ص 10.

[3]نفسه، ص 11.

[4]ولد في سنة 1779، وتوفي في باريس في 1845، شارك ضد الأمير عبد القادر في معركتين معركة التينة في 30 ماي 1833، ومعركة عين البردية في 11 جوان من نفس السنة، وقع مع الأمير اتفاقية ديميشال في 26 فيفري 1834. أنظر أديب حرب: لتاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج 1، المرجع السابق، ص 91.

[5]إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 11.

[6]د – عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، المرجع السابق، ص 325.

تعين جواسيس لترصد أخبار الأمير، وزعزعة العلاقة بينه وبين السلطان عبد الرحمان مثل مصطفى بن إسماعيل[1]، وليون روش[2].

إن القنصل الفرنسي لم يقتنع بتلك الرسائل والتهديدات الموجهة إلى السلطان عبد الرحمان وقام بكتابة رسالة إلى الجنرال "رابتيل" في 17 ماي 1836 مما جاء فيها: "**إن قوة السيف هي أول دبلوماسية يمكن استعمالها مع سكان المناطق الصحراوية**"[3]، وهذا ما يعتبر تهديدا واضحا لسكان منطقة المغرب الشرقي خاصة الأنجاد والمهاية وبني سناسن وأهل وجدة. وفي رسالة كتبها "دارالانج"[4] إلى القائد العام بتاريخ 27 أفريل 1836 حول مسألة التضامن المغربي الجزائري جاء فيها: " **إن جيش فرنسا لا يحارب الجزائريين وحدهم وإنما يحارب مملكة المغرب**".

حاولت السلطات الفرنسية تسميم العلاقات الجزائرية المغربية من خلال الإشاعات المتداولة ففي 16 أكتوبر 1833 أبلغ القنصل الفرنسي ميشان بيار الذي ولد بمدينة ليون سنة 1744 بأن السلطان أصدر أوامر مشددة إلى عمال المدن والأقاليم المجاورة للحدود الجزائرية بأن يفتشوا كل القوافل المتوجهة إلى الجزائر ويصادروا كل ما يجدونه من أسلحة وذخائر، كما أمر السلطان محمد

---

[1](1769–1843)، من قبيلة عفان، كان آغا للدواوير والزمالة خلال العهد العثماني، وشارك في حملات الجنرالات بيريقو على الشلف ودارلانج، على تافنة وفي حملات بيجو (1837–1863)، توفي في 23 ماي 1843. أنظر، أديب حرب: لتاريخ العسكري والإداري للأمير، ج1، المرجع السابق، ص 91.

[2]ولد ليون روش في مدينة غرونوبل في 26 جوان 1809، وتوفي في نفس المدينة في 26 جوان 1901، نال شهادة الباكولوريا سنة 1823، عين سنة 1833 ملازم في فرقة الفرسان الخيالة، عين سنة 1835 مترجم رئيس محلف في الجيش الإفريقي من طرف الماريشالكلوزيل، وأخذه معه في حملته على المدية سنة 1836، التحق بجيش الأمير عبد القادر في نوفمبر 1837 بغرض التجسس على الأمير. أنظر، يوسف مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ( 1847 - 1832 ) م.و.ك، الجزائر، 1990، ص 13 وما يليها .

[3]جلال يحي و آخرون: ألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية

[4]التحق بالقوات الملكية والإمبراطورية، ليترقى إلى رتبة عقيد سنة 1823 ومنح رتبة جنرال سنة 1834 ليعين بعدها قائد لولاية وهران بدلا من الجنرال تريزيل المنهزم بمعركة المقطع توفي سنة 1848. أنظر، عبد القادر زاير: دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية (1832–1847)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2009، ص 57.

أشعاع عامل تطوان بأن لا يسمح في مدينته ومراسيها بنزول الأسلحة والذخيرة الموجهة إلى تلمسان[1].

وما نستنتجه هنا أن فرنسا كانت مصرة على عرقلة نشاط الأمير وحركته الجهادية، وزرع البلبلة والشك بين الأوساط المغربية والأمير عبد القادر، خاصة أنها تأكدت بأن هناك قوافل تجارية تنقل بين تلمسان والمغرب الشرقي، وعليه اتخذت فرنسا موقف صارم اتجاه المغرب. استعملت فرنسا الأسلوب الدبلوماسي لسببين هما:

- تجنب إثارة الرأي العام المغربي وعليه تجنب فتح جبهة عسكرية هي عاجزةعنمقاومتها في ظل انشغالها بالوضع في الجزائر.
- محاولة كسب المغرب إلى جانبها أو على الأقل ضمان حياده عن ما يحدثفي الجزائر، وعليه ضاعفت من نشاط قنصلها بطنجة في رفع تقاريرهم

و شكاويهم إلى البلاط المغربي. ومما يتضح أن السلطان عبد الرحمان عندما كانت تراسله فرنسا وتطالبه بوقف دعم الأمير يرد عليها بإجابات مثل: أن هذه الإمدادات ليست إلا ردا على هدايا الأمير، وأنها غير صالحة. ويقول وزير الخارجية آنذاك: **"ومن المغرب تمكن الأمير من أن يحصل على قوات جديدة وجنود وإمدادات حربية، وبهذه المعونة من حكومة المغرب...تمكن الأمير من أن يظهر مرة ثانية مسلحا أمام قواتنا وأن يعيد إشعال الثورة التي كانت قد خمدت"**[2].

وجد السلطان نفسه مجبرا على اتخاذ موقف من هذه التهديدات التي أصبحت تشكل خطرا واضحا على المملكة من بينها:

[1] ياسين إبراهيم: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 190.
[2] جلال يحي و آخرون : المرجع السابق، ص ص 76- 77.

– التزام الحياد الذي تعهد به في سنة 1832، وأن يوقف الدعم المادي والبشري والعسكري للأمير.

– أن يرغم رعاياه على التوقف عن الانضمام لحركة الأمير الجهادية وعن مساعدته، وأنيعترف بسلطة فرنسا على الجزائر.

– أن يمنع الجزائريين من اللجوء إلى المغرب الشرقي ويتوقف عن مساعدتهم. لقد انطلق دولاري[1] من باريس يوم 10 جوان 1836 حاملا معه هدية ثمينة للسلطان عبد الرحمان من أجل مناقشة قضية التضامن الجزائري، وبرفقته المترجم ديلابورت ووصلا إلىطنجة يوم 5 جويلية 1836، واستقبلا في مكناس يوم 30 جويلية 1836 من طرف السلطان عبد الرحمان الذي أسند مهمة التفاوض إلى وزيره سيدي محمد الطيب البياسي وانتهت هذه المفاوضات بتوقيع الطرفين على محضر الجلسات التي عقدها، ثم رحلا ووصلا إلى طولون يوم 4 سبتمبر بحوزتهما وثيقتان رئيسيتان الأولى تمثل جواب السلطان عن رسالة الملك الفرنسي، والثانية تضمنت جوابه عن المطالب الفرنسية.

جاء نص الوثيقة الأولى والمؤرخة في 6 أوت 1836، الموافق ل 22 ربيع الثاني 1252هـ ما يلي:"...أما بعد فقد ورد على حضرتنا العلية بالله كتابك وعرفنا ما تضمنه خطابك وما ذكرتم من وقوفكم واعتمادكم على ما بيننا وبينكم من المودة والمصالح والمهادنة...فنحن إن شاء الله كذلك

[1] دولاري: (1795–1872)، كان برتبة ملازم سنة 1814 ورئيس الحرس الملكي، التحق بالسفارة الفرنسية باسطنبول في شهر مارس 1815 ثم رئيس الحرس الملكي ببلجيكا في العام نفسه ترقى إلى رتبة نقيب عسكري قبطان سنة 1816 وأرسل عام 1834 إلى روسيا في بعثة إلى الأقاليم الجنوبية، وفي سنة 1836 رقي إلى ملازم أول وعقيد في سنة 1839 رقي إلى عقيد سنة 1844 مارشال ميدان، وفي 1845 حاكم قسنطينة، كلف بالبعثة لتحديد الحدود وأحيل إلى التقاعد ونفي عقب ثورة 1860، توفي في 21 مارس 1872. أنظر، محمد السعيد القاصري: العلاقات الجزائرية المغربية ( 1847 – 1830 )، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2001، ص 150.

وأزيد...وما ذكرتم من أنكم لاتيتم كثيرا من إيالتنا...وما بلغكم من ذلك كله معضى كذب...والذي بلغكم عنهم ذلك أعراب زينطوط تائهون في الصحراء...ولم تتلهم أحكامنا"[1].

ومن هنا أكد السلطان ينفي نهائيا دعمه للأمير، وأكد على صلات الحب والمودة بينه وبين فرنسا، وتكذيب مشاركة المغاربة في المعارك إلى جانب الأمير، واعتبار تلك القبائل التي ساندت الأمير قبائل خرجت عن طاعته.

أما نص الوثيقة الثانية تضمنت ما يلي:

- تعهد السلطان بالامتناع عن تقديم أي مساعدة لعبد القادر بالسلاح والرجال والمال والخيل.
- إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين يأتون من الجزائر.
- نفي رغبة أو أطماع السلطان في الغرب الجزائري.
- دعوة فرنسا إلى تكثيف الحراسة على الحدود الجزائرية المغربية.
- تأكيدا لضعفه أمام قبائل الحدود وترك الحرية لفرنسا في معاقبة قبائل رعيته الذين قدموا مساعداتهم للجزائريين[2].

من الملاحظ هنا أن السلطان عبد الرحمان اخترق كل هذه التعهدات، وما جاء في الوثيقتين لأنه كان يدعم الأمير حتى بعد هذه الاتفاقيات كذلك اتخاذه المواقف تكون أحيانا غامضة اتجاه فرنسا وتكون أجوبته غير مباشرة أو غير واضح.

[1] جلول المكي: المرجع السابق، ص 241.
[2] جلول المكي: المرجع السابق، ص 241-142.

## المبحث الثالث: معاهدتي ديميشال 1834 والتافنة 1837 وأثرهما على العلاقات الجزائرية المغربية

### المطلب الأول : معاهدة ديميشال 1834وأثرها على العلاقات الجزائرية المغربية

- **معاهدة ديميشال 1834**

لقد استمرت حركة الأمير عبد القادر الدفاعية في كامل أنحاء الجهة الغربية من الجزائر حيث حاصر قوات العدو في العديد من النواحي[1]، ولما قام ديميشال بالهجوم على قبائل الدوائر والزمالة، وجرت معركة بين الأمير عبد القادر والقوات الفرنسية بقيادة ديميشال كان النصر حليف الأمير عبد القادر، وتغيير مكان تلك القبائل إلى سهل وراء تلمسان من أجل إبعادهم عن خطر العدو والذي صار يهددهم في كل لحظة بحكم قربهم منها[2].

لما قوي سلطان الأمير عبد القادر تخوف الجنرال ديميشال كثيرا، هذا ما جعله يبادر إلى مفاتحة الأمير برسالة بتاريخ 17 جمادى الأول 1249هـ/1سبتمبر 1833 يرغب فيها بإخلاء الأسرى الذين قبض عليهم في محادثة وقعت في أرزيو، وقد دارت بينهما مراسلات تتضمن عقد معاهدة صداقة لكنهما في الواقع خدعة من فرنسا تهدف من خلالها إلى كسب المزيد من الوقت، لكن هذا لم يخف على الأمير بدليل أنه كتب برسالة إلى السلطان عبد الرحمان يقول فيها..." **ولما رأى الكافر من تلك القوة والحدة احتال في حل عزائمنا بطلب الصلح مدة، فأجبناه لذلك على شروط على الإسلام فيها ظاهر مضبوط فتحملها لظنه أن الصلح يحل من المسلمين العزائم ويميلون إلى ترك الجهاد والراحة على الدائم...."**[3]

[1] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، المرجع السابق، ص 305.

[2] إدريس خضير: البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962، ج 1، المرجع السابق، ص 58.

[3] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، المرجع السابق، ص 305.

لما وصلت رسائل ديميشال إلى الأمير عبد القادر فرح لأن عدوه وقف وقفة المستغيث ولم يرد على نيميشال إلا بعد القيام بالعديد من المحاولات من هذا الأخير، وفي رسالته الأخيرة قام بالرد عليه وجمع رجال دولته وأعيانه وخلفائه وأخبرهم بالوقائع التي جرت بينه وبين الجنرال ديميشال في شأن أسرى أرزيو أولا، ثم أمر بالهدنة، ولما استشارهم، واطلع على أرائهم رأى أن معظمهم يرغب في الجنوح إلى السلم[1]

بحجة أن العدو طلب ذلك فبعث بمكتوب إلى ديميشال يخبره بقبوله الجنوح إلى السلم. تمت المقابلة في 4 فيفري 1834 في مكان قريب من مدينة وهران ، مثل الأمير عبد القادر في هذا المجلس، وزير الخارجية السيد المولود بن عراش، ومعه الآغا خليفة بن محمود ومن الجانب الفرنسي حضر الجنرال ديميشال بنفسه مع أعضاء حكومته وبعد الأخذ والعطاء اتفق الطرفان على إمضاء الاتفاقية التي نصت على ما يلي: – تعترف فرنسا بإمارة الأمير عبد القادر الشرعية وإقرار السلم بينه وبينها. – تلتزم فرنسا باحترام الدين الإسلامي وجميع تقاليد المسلمين. – تبادل الأسرى بين الطرفين.

–حرية التجارة.[2]

– إعادة كل فرنسي هارب.

–كل مسيحي مطالب بتقديم جواز السفر أثناء تنقله في البلاد ممهور بختم قنصل الأمير

عبد القادر وختم الجنرال ديميشال[3]. ولما اطلع الأمير على نص الاتفاقية ألحق بها بعض التعديلات من بينها:

– إطلاق يد المسلمين في التجارة بجميع أنواع السلاح والذخائر الحربية.

[1] محمد بن عبد القادر: تحفة الزار، ج1، المصدر السابق، ص 215.

[2] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، المرجع السابق، ص 306 .

[3] هنري تشرشل: المصدر السابق، ص 110.

– النظر في شؤون المركز التجاري الموجود في ميناء أرزيو والتصرف فيه تحت رعاية

حكومة الأمير مثل ما كانت عليه من قبل وللحكومة الإسلامية الحق في بيع الحنطة والتجارة في جميع أنواع السلع، للبضائع التي تصل ميناء أرزيو، ولا يصدر أي شيء إلى الخارج إلا من هذا الميناء فقط ويرسل إلى وهران ومستغانم البضائع التي تحتاج

إليها فقط.

– إعادة المسلمين الفارين إلى حكومة الأمير وليس للفرنسيين سلطة على المسلمين أينما

وجدوا، ولا يمنعهم من الرجوع إلى أهلهم متى أرادوا ذلك. بعد إطلاع الطرفان على شروط المعاهدة قبل ديميشال بشروط الأمير بوضعه خاتمه على الوثيقة، واتفق على تحرير نص

المعاهدة باللغة العربية والفرنسية، وبهذا ظن الأمير أنه قد ضمن احتكار التجارة.[1]

في 26 فيفري اقترح ديميشال على ابن عراش وضع معاهدة سميت بالمعاهدة المختلطة تحتوي على أهم ما ورد في الوثيقتين السابقتين لكن تنص على الشروط الفرنسية بتفصيل أكثر، ولم يعترض ابن عراش على ذلك ولم يتفطن للحيلة التي يتبعها الجنرال ديميشال التي يراد بها فسخ الشروط التي وضعها الأمير عبد القادر، والملاحظ أن ديميشال عمل على

تعديل نص الاتفاقية حسب رغبته، خاصة فيما يتعلق باحتكار التجارة من طرف العرب التي وردت في شروط الأمير في الوثيقة المنفصلة، لكن ابن عراش لم يتفطن لذلك رغم أن عبد القادر كان يملك وثيقة موقعة ومختومة من الجانبين.[2]

[1] نفسه، ص 112.

[2] هنري تشرشل : المصدر السابق، ص 113.

لقد اعتبر ديميشال هذه المعاهدة انتصارا دبلوماسيا، حيث قام بإرسال بشائر السلام والمباركة إلى الحكومة الفرنسية معبرا عن ذلك بقوله "**إنني أعلم لكم استسلام إقليم وهران الذي يعتبر أكبر جزء من ولاية الجزائر وأكثرها محاربة، الفضل في الحادي الكبير يعود إلى الميزات التي امتازت بها القوات التي أقودها** ."[1]أما الأمير عبد القادر اعتبرها نصرا له لأنه أرغم عدوه على طلب السلام ووضع الشروط التي يريدها، ولم يلتزم فيها بأية شروط أو قيود لا من ناحية الحدود ولا من ناحية التجارة.[2] وبمقتضى الاحتكار أصدر أوامر تمنع العرب من بيع القمح والشعير، والإنتاج الفلاحي مهما

كان نوعه إلى المسيحيين، سواء كانوا من البلاد أو الأجانب ويكون ممثلوه مسئولين عن هذه العملية وعن تحديد الأسعار في الأسواق[3].

- **أثر المعاهدة على العلاقات الجزائرية المغربية:**

لقد اختلفت الآراء حول تطور العلاقة بين السلطان عبد الرحمان والأمير عبد القادر، بعد عقد معاهدة ديميشال، إذ وجد هناك تناقضا بين المؤرخين، يقول الرأي الأول بأن العلاقات توترت بينهما بحكم أن الأمير عبد القادر بعد أن أخذ ميناء أرزيو لم يصبح في حاجة إلى المساعدات التي كانت تصله من المغرب برا، واعتبر السلطان عبد الرحمان معاهدة ديميشال تحالفا مع الكفار[4].

أما الرأي الثاني فيرى العكس بدليل أن الأمير عبد القادر كان قد استشار السلطان عبد الرحمان في ما يخص شروط المعاهدة، وقد وافق على هذا الأمر وقدم السلطان للأمير النصائح والتوجيهات، كما يذكر محمد ابن عبد القادر في كتاب تحفة الزائر، أن السلطان بعث للأمير عبد

[1] إدريس خضير: لبحث في تاريخ الجزائر الحديث، ج 1، المرجع السابق، ص 64

[2] هنري نتشرشل : المصدر السابق، ص 113

[3] نفسه، ص 114.

[4] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 224.

القادر وفدا لتهنئته، حيث يقول" :**وصل وفد السلطان عبد الرحمان بن هشام صاحب المغرب الأقصى لأداء التهنئة للأمير وبالملك وأصحبهم هدية من نفائس بلاده ومقدار وافر من ذخائر الحرب وأدواته، ...وكان نفر من العساكر الفرنساوية فر إلى المغرب بعثهم لدى الأمير ليقول رأيه فيهم."**[1]

كما أكد وزير الحربية اعتمادا على التقارير التي جمعها القنصل الفرنسي بطنجة الجنرال فوارول، أن علاقة السلطان وعبد القادر جد طيبة وأنهما على وفاق كبير واتصال مستمر[2]. إن الانتصار الذي سجلته المقاومة الجزائرية في معركة المقطع كان له صدى كبيرا وقويا في المغرب الأقصى، حيث أثبت أن مقاومة الاحتلال الأجنبي ليس بالأمر الصعب، كما أعطت معركة المقطع الفرصة لجيش الأمير بالتموين بالأسلحة من مختلف الجهات إلى جبل طارق، ثم إلى تيطوان بطريق البحر لتنقل على ظهور البغال والجمال بمساعدة السلطات المغربية إلى الغرب الجزائري، كما شاركت بعض العناصر المغربية في القتال مع الأمير في المعركة التي وقعت سنة 1836، والتي قطع فيها خط الرجعة إلى وهران علىجيش تريزيل[3] على إثر هذا قامت السلطات الفرنسية ببعث احتجاجات إلى سلطان المغرب واتهمته بتقديم المساعدات العسكرية للأمير[4].

وعليه فإن استمرار علاقات الود بعد معاهدة ديميشال دليل قاطع على صحة الرأي الثاني

أما تحالف الأمير عبد القادر مع الكفار فالدين الإسلامي السمح يدعونا إلى الجنوح نحو السلم ما دام الكافر جنح لذلك، وانتصر الدعم المغربي حيث يذكر محمد بن عبد القادر أنه في سنة

---

[1] محمد بن عبد القادر : تحفة لزائر، ج1، المصدر السابق، ص 221.

[2] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، المرجع السابق، ص 50.

[3] ( 1870 – 1860 )، ولد بباريس التحق بالجيش الفرنسي برتبة ملازم، وفي سنة 1835 عين قائدا عسكريا بالمقاطعة وهران، وفي جوان 1835 عاد إلى باريس كوزير الحربية في سنة (1837–1848). أنظر، الأمير عبد القادر: لمذكرت المصدر السابق، ص 78.

[4] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 224.

1835 وصلت إمدادات عسكرية مغربية حوالي 600 بندقية و 67 فرسا، و 200 سيف وكمية من البارود والذخيرة.[1]

**المطلب الثاني : معاهدة التافنة 1837 وموقف المغرب منها**

بعد الهزائم التي مني بها كلوزيل في معاركه ضد الأمير عبد القادر، قامت الحكومة الفرنسية بعزله و عين مكانه الجنرال" دومرمون[2]" حاكما على الجزائر، والجنرال بيجو[3] على وهران مكان الجنرال دو بروسار[4] وزودت كل منهما بالقوات التي يحتاجها فأرسل الأمير بن دران[5] ليبارك له بالمنصب الجديد، كما طلبت منه التعامل بالعملة التي يريدها الأمير، وبعد إعلام حكومته على هذا الأمر، رفضت بحجة أن معاهدة ديميشال لم تنص على عملية النقود[6].

[1] محمد بن عبد القادر : تحفة لزائر، ج 1، المصدر السابق، ص 224.

[2] دامرمون: ولد سنة 1783 بشومون في باريس، التحق بالجيش الفرنسي برتبة ملازم، وفي سنة 1835 عين قائدا عسكريا بالمقاطعة وهران، وفي جوان 183 عاد إلى باريس كوزير للحربية في سنة (1837-1848)، عين حاكما عاما على الجزائر سنة 1837 بدلا من الجنرال كلوزيل، ليموت بقذيفة مدفع أمام قسنطينة. أنظر، أبيب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، المرجع السابق، ص 312.

[3] ولد في 15 ديسمبر 1775 بمقاطعة لادورانتي، التحق بالجيش الفرنسي في ماي 1804، حارب في اسبانيا برتبة عميد، وأرسل إلى الجزائر سنة 1836، وحارب الأمير في معركة السكاك من نفس السنة، وانتصر عليه ووقع معاهدة التافنة مع الأمير، عين حاكما عاما للجزائر (1841-1847)، عاد إلى فرنسا ومات بمرض الكوليرا سنة 1849. أنظر أديب حرب: المرجع السابق، ص 312.

[4] تطوع في الجيش أيام الثورة الفرنسية ليتدرج تحت عالم الإمبراطورية الأول وملكية لويس فيليب، حتى عينه مارشال سنة 1834، وعين قائدا لمقاطعة وهران بدلا من الجنرال لاتون سنة 1837، عاد إلى باريس وتوفي بها سنة 1867. أنظر، أديب حرب: المرجع السابق، ص 312.

[5] هو من أسرة يهودية جزائرية قديمة عاش في فرنسا، كان ذا مهارة ونفوذ كبيرين في مدينة الجزائر، كان هدفه أن يحقق أرباح مالية من الطرفين المتنازعين، ولقد حاول إقناع الأمير بتموين الجيش الفرنسي مؤكدا مدى الأرباح التي سيتحصل عليها جراء ذلك. أنظر، محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 79.

[6] إدريس خضير: البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830-1962)، ج1، المرجع السابق، ص ص 108-109. وإسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 126.

خلال هذه الفترة وقعت معارك عديدة بين الأمير والقوات الفرنسية انهزمت فيها هذه الأخيرة فدعا الرأي العام الفرنسي إلى التخلي عن الجزائر، وإيقاف الحرب، غير أن بعض رجال الدولة الطامعين في الثورة فضلوا استمرار الحرب آملين في الاستحواذ على خيراتها كما أن الجنرال بيجو كلف بنقض المعاهدة المعقودة مع الأمير والحاكم السابق لوهران ومواصلة الحرب أو عقد صلح مع الأمير يخدم مصالح فرنسا[1].

كان كلا الطرفان يسعى لتحقيق أهداف من وراء هذا الصلح، أما بالنسبة للقوات الفرنسية وحكومتها فقد كانت تسعى إلى تحقيق ما يلي:

- التفرغ للقضاء على مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري.
- إعداد فرق عسكرية خاصة بحرب الجبال.
- فك الحصار على المناطق الفرنسية.
- انتظار وصول الإمدادات العسكرية من فرنسا[2].

محاولة قطع المساعدات التي كان يقدمها المغرب الأقصى لأن المعاهدة توقف الحرب بين الطرفين، و بالتالي فالأمير لم يعد بحاجة إلى تلك المساعدات.

أما الأمير قبل الهدنة من أجل تخفيف معاناة الشعب الجزائري والتقاط الأنفاس، وتوسيع نفوذه في البلاد والحصول على اعتراف الدول الأخرى ويبين للرأي العالمي الاعتداءات التي تقوم بها فرنسا على بلاده وشعبه، وبناء دولة يكون لها جيش منظم وجمع الأسلحة والذخيرة والسيطرة على المنطقة الغربية بالقضاء على الخونة والمعارضين لمسيرة الأمير عبد القادر[3].

---

[1] صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1850)، د.م.ج، الجزائر، 1993، ص 150.

[2] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 125-126.

[3] الغالي غربي وأخرون: المرجع السابق، ص 173.

لما طلبت فرنسا الصلح من الأمير عبد القادر قام بإرسال وفد إلى سلطان المغرب يستشيره في إنجاز الصلح مع العدو، كما أرسل مجموعة من الأسئلة الفقهاء فاس أراد فتوتهم فيها وكان من بينها:

-ما حكم من يتخلف عن الحريم والأولاد إذا استغرب نائب الإمام للدفاع عن البلاد هل يعاقبون وكيف عقابهم، ولا يأتي بغير قتالهم؟ هل تأخذ أموالهم وأسلابهم؟

-كيف العمل في من يمنع الزكاة أو من يمنع بعضها من التحقق بعمارة حصته في الحال هل يصدق مع قلة الدين في هذا الزمان أم يكون للاجتهاد فيه مجال؟[1] لقد أجاب عن هذه الأسئلة العلامة الفقيه أبو الحسن علي بن عبد السلام موديشالتسولي جوابا طويلا.[2]

أما السؤال الذي يستوقفنا هل صحيح أن الأمير بحاجة ماسة إلى فتاوي من علماء فاس؟ أم كانت له أهداف أخرى من وراء هذا التصرف؟ والحقيقة أن الأمير لم يكن بحاجة إلى هذه الفتاوي، لذا يمكننا استنتاج أهداف الأمير من وراء هذه الأسئلة:

- العمل بمبدأ الشورى كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم.

-كسب ود وعطف السلطان عبد الرحمان بن هشام، فمن خلال هذا التصرف يظهر الأمير ولائه واحترامه للسلطان وأنه يعمل بمبدأ النصائح التي يقدمها له، وبهذا سيعمل السلطان المغربي على دعم الأمير عبد القادر ماديا ومعنويا، وإلزام السلطان شرعا أمام فتاوي فقهاء وعلماء فاس بدعم حركة جهاد الأمير عبد القادر ضد العدو الأجنبي.

لما وصل الوفد المبعوث من قبل الأمير إلى المغرب الأقصى استقبله السلطان وأحسن وفادتهم، وقدمت إليه الهدايا والكتاب، فسأل عن أحوال الأمير وعن أحواله مع العدو والرعية...فأخبره

[1] الناصري: الاستقصا، ج9، المصدر السابق، ص ص 46-47.

[2] محمد بن عبد القادر : تحفة لزائر، ج1، المصدر السابق، ص 375

الوفد عن حقيقة الأمر، وقدم إليه السؤال فأرسله إلى شيخ الإسلام العلامة ابن الحسن علي بن عبد السلام لكي يجيب عن تلك الأسئلة[1].

ويقول صاحب التحفة أن الجواب كان لصالح الأمير، وبعد حضور الفتوى إلى السلطان أمر بإحضار "سبع كسوات فاخرات وسبع أفراس من عتاق الخيل بسروجها وأربعة مدافع

صغار وستين فرس، وأن بعض من الخزينة عشرة آلاف مثقال إلى الحاج الطالب وكيل الأمير بفاس ليشتري له بها من الإمدادات الحربية ما يأمره بشرائه. كما أرسل السلطان مع الوفد كتابا إلى الأمير يحثه على الجهاد ومقاتلة الكفار وعدم الكف عن محاربة أعداء الدين قاطعا له وعدا بزيادة تقديم المساعدات على المساعدات التي بعثها مع الوفد ودعوة الرعية وحثهم على الجهاد ومقاتلة العصاة والخارجين عنه[2]. ودعا الأمير أيضا باسم الإسلام أن يظل واقفا مثابرا على حركة الجهاد والدفاع عن الوطن ضد الغزاة وإكمال عمله الشريف وتوسيع وإنجاز واجبه، وفي الأخير طلب من الأمير أن يرسل إليه قميصه ليحتفظ به كأثر في مسجده الخاص[3]. وصرح له بجواز الصلح مع العدو إذا دعت الضرورة إليه، إبقاء على المسلمين وبلادهم، فإنه يجوز والضرورة لها أحكام وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب[4]

بعد معرفة الأمير عبد القادر رغبة فرنسا في عقد الصلح ووصول جواب السلطان في الموافقة على ذلك، دخل في مفاوضات مع الفرنسيين نتج عنها توقيع معاهدة صلح يوم 30 ماي 1837 صفر 1253هـ، اشتملت على 15 بندا أهمها: [5]

– اعتراف دولة فرنسا على جزء كبير من المقاطعات التابعة له وبالمقابل يعترف الأمير

---

[1] نفسه، 377.

[2] حمد بن عبد القادر : تحفة لزائر، ج 1، المصدر السابق، ص 377 وما يليها

[3] بسام العسلي: المرجع السابق، ص 126.

[4] محمد بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 378.

[5] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 126.

بجزء من السيادة الفرنسية.

– ترخيص شراء الأسلحة والبارود للأمير من الفرنسيين[1].

– حرية التجارة بين الطرفين في المناطق الفرنسية والمناطق العربية. وبموجب هذه المعاهدة تم انسحاب الفرنسيون من تلمسان يوم 9 صفر 1254هـ/ 4 ماي 1838م، وحل مكانهم الأمير عبد القادر بجيوشه ونظم في ذلك قصيدة شعرية يقول في مطلعها:

**إلى الصون مدت تلمسان يداها ***وليت فهذا حسن صوت نداها**

**وقد رفعت عنها الأضرار فلـــج ***بهويرد فؤاد من زلالنداها**

**وذاروا من خديها تفتق نـــــوره ***فلا ترضى من زاهي الرياض عداها [2]**

ورغم تحفظ المغاربة على هذه المعاهدة التي حرمتهم من تثبيت وجودهم في أراضي الجزائر وتقوية الميول الاستقلالية للأمير والفشل في تحقيق مشروع الإتحاد المغربي الجزائري الذي كان من بين أهداف السلطان، والذي سيجعله ملزما على مواجهة فرنسا إلا أنه قبل بمعاهدة التافنة، وتغير موقفه لصالح حركة الجهاد بالجزائر بفضل توسط المقربين للسلطان ومحاولة إقناعه بالوقوف إلى جانب الأمير، وفعلا استمر الدعم المغربي للأمير حتى بعد معاهدة التافنة، فبعد استرجاع تلمسان كتب السلطان إلى عماله في 15 جويلية 1837 ليبشرهم بانتصارات الأمير قائلا لهم ":بشرهم بما شرح الصدر وأعلى الإسلام بظهور القوة ورفع القدر في فتح مدينة تلمسان...ومن غير أعمال سيف ولا نسان ...وذلك بصلح أسفر عن العز وجه نجاحه وأطلع في فك الإسلام طالع سعده

[1] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، المرجع السابق، ص 336

[2] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزئر العام، ج4، المرجع السابق، ص 341.

وفلاحه وأصبحت به ثغور أهل الدين بواسم[1] ."كما قام الوزير محمد بن إدريس العمراوي ببعث رسالة إلى الأمير عبد القادر يهنئه بهذا الفتح بدأها بقصيدة كان مطلعها:

بشرى بفتح كسا الإسلام إحسانا وصار منه لعين الدنيا إنسانا

صنع جميل سمت فضلا صنائعه لوحشة الدهر والأيام إنسانا

فأصبحت ووجوه السعد مشرقة بها جهارا كأن الكفر ما كانا [2]

بدأ الوزير محمد رسالته بالثناء على الأمير عبد القادر ووصفه في قوله ":محل الولد البار الساعي في المحاسن والمسار"...، وفي وسط الرسالة هنيء الأمير بفتحه لتلمسان

واسترجاعها من غير أعمال السيف ولا سنان وخروج العدو الكافر عنها بصلح محمود كما نصحه بالجنوح إلى الصلح ما دام فيه خير بقوله..."فإن السلم إذا كان عن عز لمصلحة كان داعيا لوفور القوة وانتظام العزم في جهاد أعداء الله، ففي الصلح أمور تذكر وفوائد تنكر"، وحث الأمير على استرجاع قسنطينة والأقطار الأخرى واستمالة الناس لصفه حتى يتمكن من مواجهة العدو، وختم رسالته بالدعاء له بإتمام مسيرته وفتح الجزائر ووهران ونشر الإسلام في الثغور والعمائر، وإعادة بناء إمارته[3].

لقد اقترح الأمير في كتابه على السلطان أن يقوم بزيارة تلمسان، فاعتذر له قائلا ":وما أشرتم به من أنا أولى بالزيارة...فذلك أصلحك الله منا تواضعك... الذي ظهر...وإلا أنت أولى من أن توصل وتزار"، ولما أخبره الأمير بمغادرة الجزائر نهاه عن ذلك قائلا..." :فاعلم أنك روح تلك الأقطار وقطبها الذي عليه المدار، فلا ينبغي أن تزايل تلك الدائرة...وهي حديثة عهد باسترداد وقريبة زمن بجهاد وجلاد"، فهل حقا كان في نية الأمير عبد القادر مغادرة الجزائر وهو في فترة سلم

[1] محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 87.

[2] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، المرجع السابق، ص 341.

[3] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص ص 342-345.

مع فرنسا، وفي موقف قوة؟ هل حقا يريد التخلي عن حركة الجهاد بعد السعي إلى رفع لوائها؟ بالتأكيد لا فقط أراد أن يختبر نوايا السلطان المغربي، إلا أن هذا الأخير عبر له عن حسن نيته ورغبته في الوقوف إلى جانبه مما شجع الأمير على مواصلة جهاده.

لقد تعرض الأمير عبد القادر إلى مشاكل فمن جهة فرنسا كانت ترغب في تعديل معاهدة التافنة ومن جهة أخرى تعرضه للضغوط وتمردات من قبل أحمد التيجاني[1] شيخ الطريقة التيجانية* بعين ماضي[2].

لما دخل الأمير عبد القادر تلمسان وفتحها وحررها من الفرنسيين بموجب معاهدة التافنة فقام السلطان بإقامة احتفالات في مدن المغرب الأقصى مدة ثلاث أيام متوالية، ولما احتجت الحكومة الفرنسية عن طريق قنصلها دولابورت أجابته حكومة السلطان عبد الرحمان أن الدين الإسلامي يفرض على المغاربة الاهتمام بأحوال إخوانهم المسلمين، وتلمسان تعتبر حظيرة من حواضر الإسلام.[3]

[1] هو أحمد بن محمد المختار التيجاني أحد أعقاب التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية ( 1781-1782)، وابنه محمد هو الذي ثار ضد الباي حسن حاكم وهران سنة 1827. أنظر، الأمير عبد القادر، المذكرت، المصدر السابق، ص 112.

* أسسها أبو العباس أحمد بن محمد المختار التيجاني نسبة إلى قبيلة توجين بعين ماضي، ساهمت في نشر الإسلام في بلاد السودان والسنغال والصحراء الإفريقية الكبرى. أنظر، صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية، المرجع السابق، ص ص- 180. 175

[2] قصر في جبل عمور، أسسها المرابط المغربي سيدي محمد في القرن السابع عشر ميلادي، أسس فيها أحمد بن مختار التيجاني الزاوية التيجانية، حاصرها الأمير عبد القادر في 1838، دخلها الفرنسيون في 22 ماي 1844. أنظر الأمير عبد القادر : لمذكرات، المصدر السابق، ص 112.

[3] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 230-231.

قام السلطان عبد الرحمان بإعطاء التاجر الطالب بن جلون عشرة آلاف من الذهب لشراء الأسلحة والذخيرة للأمير بالتعاون مع الحاج الطاهر الذي كان يوصل إليه الأموال عن طريق جماعة من المغاربة والمغامرين الأوروبيين والتجار اليهود.[1]

ومن أهم ما نستنتجه هنا أن الاحتفالات التي قام بها السلطان عبد الرحمان والمساعدات التي كان يقدمها له دليل قاطع على رضا السلطان على الأمير ودعمه لحركته الجهادية والوقوف في وجه المستعمر، وأن معاهدة التافنة أعطت للأمير عبد القادر فرصة في تسيير الأمور والقضاء على المتمردين ضد حركته الجهادية.

كان الأمير عبد القادر يستشير السلطان عبد الرحمان في كل ما ينوي القيام به، من أجل كسب تعاطفه مع القضية الجزائرية، كذلك حتى يتفطن المغاربة لما قد يواجههم

وتمكن من كسب اعتراف فرنسا بدولته. – تحريره لتلمسان من أيدي الفرنسيين دون خسائر مادية أو بشرية أو عسكرية. وفي سنة 1837 اتبعت فرنسا أسلوب المراوغة من أجل إجهاض معاهدة التافنة[2] فاستعان الأمير سلطان المغرب من خلال إرساله وفد كان على رأسه أخوه محمد السعيد وقد أرسل

هدايا مع الوفد، وأرسل أيضا كتابا يتضمن شرحا مفضلا عن الظروف التي آل إليها بسبب الضغوطات الفرنسية، وطلب تعيين نائب عن السلطان يكون الأمير تحت إمرته: **تحن الآن نرجو من سموكم أن ترسلوا أحد أبنائكم أو أحفادكم أو خدامكم لتولي سلطان الحكم...وسأكون أول من يعمل تحت راية من ترسلون وأن أسخر كل إمكانياتي إلى أقصى حد ذلك وأن أساعده بالرأي والنصيحة**[3] .."

---

[1] نفسه، ص 231.

[2] محمد بن عبد القادر : تحفة لزائر، ج 1، المصدر السابق، ص ص 311.

[3] هنري تشرشل: حياة الأمير، المصدر السابق، ص 157.

كان رد السلطان بتثبيت الأمير على الجهاد ومواصلة عمله النبيل يقول صاحب التحفة

**"فكيف يسوغ لك النقض؟ وقد رفعت بك في ذلك القطر راية الإسلام وانتظم أمر الخاص والعام... ولولا وجودك وجدك تتفرقت أشياع تلك القبائل الإسلامية شذر مذر، ولافترست كلاب الروم أهله... ولكن الله سبحانه تداركه بإقامتك ولن تقدم من الله عونا ومددا[1]"**.ولما أراد الأمير التخلي عن حركة الجهاد رفض السلطان المغربي ذلك خاصة أن الكفة كانت لصالح الأمير بحجة التفاف الشعب حوله بعدما نشر الأمن والسلام حيث يقول الأمير "**:كل ذلك يعود تأييد الله الذي جاءنا من دعواتكم ورضاكم عنا، لولا ذلك كنت أضعف الناس على إنجاز هذا** .[2]"بعد سقوط المدية وملیانة أرسل السلطان عبد الرحمان إلى الأمير رسالة يحثه فيها على مواصلة الجهاد، وأرسل معها كمية معتبرة من الذخيرة في شهر جوان 1840، حيث جاء على لسان السلطان نفسه "**:أما عن الذخائر والبارود والرصاص فإنا نرسلها عن طريق خادمنا بن جلون من أجل معونتكم**"، كما أن معظم المعدات الحربية كانت تأتي بطريقة مجانية أو عن طريق الشراء، تشير بعض النصوص إلى هذه الأمور إذ أشار المؤرخ مولاي

بلحميسي إلى الموضوع بقوله "**:لقد بقي المغرب مدة طويلة دار الصناعة ومنجم الذهب للأمير[3]**.."

**المطلب الثالث : نقض معاهدة التافنة**

بعدما تمكن الفرنسيين من الاستيلاء على قسنطينة بحجة أنها وقت انعقاد الهدنة كانت تحت ولاية أحمد باي، وكمحاولة لنقض معاهدة التافنة أرادت تعديل بنود المعاهدة بإرسالها القائد دوسال إلى ملیانة للتفاوض مع الأمير عبد القادر حول هذه القضية ولما اطلع الأمير على رسالة الحاكم التي

[1] محمد بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 410.

[2] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 200.

[3] نور الدين بلعربي: المرجع السابق، ص 77.

تخيره بين أمرين إما القبول بالتعديل وإما الرفض الذي تكون نتيجته نقض المعاهدة، ولما طرح المسألة على ديوان الشورى، كان الجميع يميل إلى رفض التعديل، يقول صاحب التحفة "**لا نقبل ولا نجيب إلا ما هو مذكور في التذييل ولا نرضى بالدنية في ديننا ولا يمار نخل شرفنا فالنار ولا العار، فإن كانت الدولة الفرنساوية ترضى أن تبقى على ما انعقد عليه الصلح في تافنا فذلك وإلا فالحرب وبالله المستعان.**[1]" ورغم عزم الأمير على السلم إلا أن السلطات الفرنسية كان هدفها استئناف الحرب خاصة بعد استيلائها على الشرق الجزائري البيبان الحديد " [*]بقيادة ابن الملك الدوق أورليان فاعتبر ذلك خرقا لما نصت عليه معاهدة التافنة، فقام الأمير عبد القادر بإبلاغ المارشال فالي باستئناف الحرب يوم 19 نوفمبر 1839 قائلا ":**مررتم بابن الملك في عساكركم الكثيرة في بلادي من الجزائر إلى قسنطينة بدون وجه يسوغ لكم ذلك، والذي يظهر أن القصد من**

**فعنكم هذا إظهار التعدي على حقوقي حتى أثأر لذلك وينجر الأمر إلى نقض المعاهدة...وبناء عليه أعلن لكم أنني عزمت على استئناف الحرب وبالله المستعان.**[2]"كما كلف الخليفة البوحميدي بتضييق الخناق على القوات الفرنسية المتمركزة بوهران ومخيم عين بريدية ومسغرين، ومنع أي اتصال بينهم وبين القبائل القاطنة غرب وهران، كما أوصاه بإقامة معسكر لقوات المنطقة بمنطقة المالح[3]. لقد نشبت الحرب بين الطرفين بتوجه قوات الأمير عبد القادر إلى حجوط ومن ثم إلى نهر الشفة الذي كان يعتبر حدا في أيام الصلح فشن قائدها هجوما على قبيلة

[1]محمد بن عبد القادر : تحفة لزائر، ج 1، المصدر السابق، ص ص 416- 417.

[*]هي عبارة عن ممر بين جبلين يصل ارتفاعهما إلى 60 أو 100 متر، ضيق مليء بالحص طوله 6 كلم ويعرف كذلك "يوقطن "اجتازه ابن الملك الدوق أورليان بمساعدة المقراني الذي عينته فرنسا خليفة، حيث اتجهوا نحو سير، وواد قدارة، ثم رمورة ثم القالة، اضطروا عند عبوره إلى تغيير الحمولة لضيقه ودامت مدة العبور 6 ساعات. أنظر، زاير عبد القادر : المرجع السابق، ص 61.

[2]محمد بن عبد القادر، تحفة لزائر، ج1، المصدر السابق، ص 432.

[3]زاير عبد القادر : المرجع السابق، ص 61.

أولاد غانم الذين كانوا تحت طاعة فرنسا، واستولى على ممتلكاتهم، وبعد هذا لاقتهم القوات الفرنسية عند نهر الشفة، ولحقت الأضرار بكلا الطرفين كما استهدفت الهجمات أيضا منطقة متيجة التي شارك فيها الكثير من الجزائريين، يقول صاحب التحفة أن هذا الهجوم كان مهولا لم يسبق له نضير، أما وقعة بوفاريك التي كانت في جانفي 1840 بين جيش حجوط وجيش العدو الفرنسي وجيش أخر للعدو الذي خرج من بوفاريك قاصدا البليدة فاشتد الصراع بين هذه الأطراف...، وكان النصر فيها القوات الأمير عبد القادر[1].

في 24 جانفي غزا خليفة معسكر نواحي مستغانم وحطم مزروعاتها، كما أغار على نواحي وهران، فامتلئ قلوب الفرنسيين رعبا وطالبوا بمضاعفة الإمدادات العسكرية فأمدتهم بعشرين ألف مقاتل وذخائر حربية.[2]

أما القوات الفرنسية بقيادة الجنرال فالي فقد عملت على استهداف المدن الداخلية واتخاذها كقاعدة للانطلاق نحو الداخل محققا ذلك بالمساعدات التي قدمتها له حكومته في شهر فيفري 1840 حوالي 19000 جندي وضابط، رغم محاولة تيير[3] الوقوف في طريق مشروع فالي، إلا أنه لم ينجح في ذلك .[4]

وفي 16 مارس 1840 خرج فالي من الجزائر متوجها إلى شرشال الذي لقي مقاومة شرسة من طرف المجاهدين لكنه تمكن من احتلالها، ثم توجه نحو المدية ودخلها في 17 ماي 1840 بعد خروج الأمير عبد القادر منها، وفي شهر جوان 1840 احتل مليانة[5]. والغريب في الأمر هو أن

---

[1] محمد بن عبد القادر : المصدر السابق، ص ص 433-434.

[2] نفسه، ص 435 .

[3] تيير أدولف: (1797-1877)، ولد في مرسيليا واشتغل بالمحاماة والصحافة ثم الوزارة في سنة 1832 ورئيسا للوزراء سنة 1836، وانتخب رئيسا للوزراء سنة 1836، وانتخب رئيسا للجمهورية سنة 1871، له مؤلف هام تاريخ الثورة الفرنسية. أنظر، محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 66.

[4] محمد بن عبد القادر: تحفة لزائر، ج 1، المصدر السابق، ص 436.

[5] نفسه، ص 437.

قوة الأمير ورغم ما أبلته في الأيام الماضية من انتصار وإلحاق الهزائم بالعدو تخسر في فترة قصيرة كل تلك المدن المهمة التي تعتبر معقل الجهاد

هل سيعود هذا إلى ضعف حركة الجهاد أم قوة فرنسا التي دعمتها خيانة بعض الجزائريين لوطنهم ووقوفهم في صفهم؟ كان التيجاني من بين الذين كانت لهم يد في إضعاف المقاومة الجزائرية بوقوفه عندما اقترح على بالي مشروع الدخول في طاعته وتقديم الزكاة بعدما طلب منه العرب أن يكون أميرا عليهم.[1]

نتيجة للهجومات التي قامت بها القوات الفرنسية، أصبحت تسيطر على جزء كبير من الساحل، كما كان الانتصارات جيش الأمير صدي قوي في المغرب الأقصى على المستوى الرسمي والشعبي، والذي أظهر حركة قوية من العطف والمؤازرة هذا ما أكده القنصل الفرنسي بطنجة دوري نيون في التقرير الذي كتبه إلى وزير الخارجية بتاريخ 8 جانفي 1840 والذي جاء فيه ":من المؤكد أن استئناف الأمير القتال قد أثار حماسا كبيرا في

**داخل المغرب وظهرت حركة قوية جدا من العطف عليه، وازداد التعصب بين الجماهير وكذلك يسارع المسلحون من جميع الجهات المساهمة في الجهاد " ."يقوم المغاربة بإرسال الخيول والحيوانات الحمل الأشغال والقمح والمواد الغذائية، كل ذلك بدون مقابل وفي نفس الوقت يجمع الأعيان الأثرياء أموالا ويبعثون بها إليه ويعني الأمير.[2]"**

كما تؤكد الرسالة أن هذه العملية تمت تحت إشراف السلطات المغربية ووفقا لتوجهاته "**وهذه الإعانات شجع على جمعها، والمولى محمد بن السلطان والباشا بياس، هما اللذان يتلقيان رسائل الأمير إلى السلطان ويقدمان إليه أجوبة القصر عنها، كما يقومان بتنظيم القوافل التي تنقل هذه الأشياء بصورة علانية ولا يتظاهرون بالتكتم إلا للمحافظة على المظاهر.[3]"**

[1] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ج1، ص 213 .

[2] محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 102 .

[3] نفسه، ص 103.

# الفصل الثاني :

# الضغط الفرنسي على المغرب وتوتر العلاقات الجزائرية المغربية

## المبحث الأول : الضغط الفرنسي على المغرب وتراجع الدعم المغربي للمقاومة الجزائرية

### المطلب الأول : الضغط الفرنسي على المغرب

لم تكن فرنسا تغفل عن أهمية المغرب بالنسبة للأمير، خصوصا في الفترة التي تكت نقض معاهدة تافنة، حيث عملت من ذلك الوقت على توجيه قلها الدبلوماسي للضغط على المغرب لصالح التخلي عن دعم الأمير، خاصة وأنها أصبحت تخشى قيام حركة تحرية واسعة في شمال إفريقيا، بعد أن وصلتها أخبار تعاطف الجماهير المغربية مع مقاومة الأمير عبد القادر [1]، وعلى هذا الأساس بدأت الحكومة الفرنسية تضغط على المغرب منذ بداية المقاومة.

واستنادا إلى التقارير التي كانت تصلها من قادة الجيش في الجزائر، وهت الحكومة الفرنسية على لسان نصلها بطنجة دي لابورط ثم خليفته ميشان، وبعده دي شاطو، الكثير من الاستفسارات عن الدعم الذي يتلقاه الأمير من المغرب [2]، ومن جهته رد السلطان كعادته بعدم وجود علاقة بينه وبين الأمير، ونسب للار الأمر: « ... **البو ميغ والطرق كثيرة، ولا يخفى حال التجار إذا وجدوا الربح في محل يتسابقون إليه** ...»[3]

وفي 26 جوان 1836م أرسلت الحكومة الفرنسية الكولونيل دي لاريو إلى المغرب قصد الضغط على السلطان عبد الرحمن، حيث كل مفوض الحكومة الفرنسية السابق الذكر رسالة تتضمنمُقتَرَحاتتَسوِيَةالخِلافِبَينالبَلَدَين،وَعَلىهذاالأساسااجتَمَعَديلاريويَومَ 27 جويليةبالسلطان عبد الرحمن [4]، وين جهته كف السلطان الطبيب البياز بالتفاوض مع مبعوث الحكومة الفرنسي[5]

[1] يحي جلال ، مرجع سابق ، ص 169.

[2] C. Brisc,op : cit , p43.

[3] محمد بن جبور ، مرجع سابق ، ص 168.

[4] ابن زيدان ، إتحاف أعلام الناس ، ج5 ، مصدر سابق ، ص 187.

[5] محمد بن جبور ، مرجع سابق ، ص 166.

وخلصت المفاوضات إلى التوقيع على سبعة شروط منها : الاعتراف بحق فرنسا على الجزائر، والتزام المغرب الحياد، ومنع الجزائريين من دخول المغرب [1] .

وفي مارس 1842م وقت الحكومة الفرنسية استفسار آخر حول الأم الذي يتلقاه الأمير من طرف القبائل المغربية، وكان رد السلطان على هذا الاستفسار بأهم م مغامرين استمام الأمير عن طريق المال [2]، كما كان التهديد الفرنسي يصل إلى حد الاحتجاج باستعمال القوة، ففي جويلية 1836م أرسلت فرنسا سفينتين حربيتين إلى خليج طنجة تحملان مبعوثا جاء لتقديم احتجاج لسلطان على المعونة التي يحصل عليها الأمير من المغرب [3].

**المطلب الثاني: الطريق نحو التصادم المغربي الفرنسي**

إن فرنسا بقوة جيشها وخبرته التي حازها في الحروب النابليونية، وتطور أسلحته الحربية مقارنة بالمقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير الشاب صاحب الخبرة الميدانية، والعتاد البسيط، وأمام توالي الهزائم اض الأمير إلى اعتماد استراتيجية الحرب الحالقة التي تعتمد على أسلوب الكر والف، هذه الاستراتيجية التي تجعل من الأراضي المغربية الواقعة على الحدود الملاجئ الآمنة للأمير لترتيبفويه، والانطلاق في هجمات سريعة من جهة، ومحاولة إقحام السلطان في هذه الميعادلة، من جهة أخرى.

حيث كان الأمير عبد القادر وحسب اجتهاده الخاص، يرى في دخول السلطان عبد الرحمن معادلة الحرب في صف المقاومة الجزائرية عامة بإمكانه القضاء على الفرنسيين، و طردهم من البلاد، ومما زاد في إصرار الأمير تلك الدعوات التي كانت تصله من شيوخ القبائل والزوايا المغربية

[1] اينزيدان ، مصدر سابق ، ص 178.

[2] L. Voinot , op : cit , pp 301 302.

[3] ب ج روجرز، تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900، تر وتع يونان لبيب رزق ،دار الثقافة ، الدار البيضاء ،ط1 ، 1981، ص 193.

عن ضرورة توحيد الجهود، ومما كس الأمير أيضا، بعض الرسائل التي تلقاها من الوزير الأكبر الحاج الطالب بن جلول،عن إمكانية دخول المغاربة الحرب لو تعدي الجيش الفرنسي الحدود . إكل هذه الظروف ساعدت الأمير على أن يمضي قدما في تنفيذ خطته خاصة بعد سقوط مالته في أيدي الفرنسيين سنة 1843م. موقعة إسلية

لقد كنا تطرقنا في مطلع هذا البحث إلى العلاقات الفرنسية المغربية، وتحدثنا عن الضغط الفرنسي على المغرب لسحب جيوشه من تلمسان، وفي هذا كانت بعثة الكولونيل "دموريني" الذي أوصل تهديداتكلوزيل إلى السلطان عبد الرحمن، مذكرا إياه باتفاقيات جده المولاي محمد بن عبد الله . ومع تنامي صوت المقاومة الجزائرية الداعية إلى الجهاد، ازدادت القبائل المغربية تعلقة بالأمير،حيث وجد سلطان المغرب صعوبة كبيرة في إسكات الأصوات الداعية إلى حمل لواء الجهاد في مملكته، وكان السلطان يتعرض أيضا لضغوط سياسية خارجية من فرنسا، ومن جهتها كانت المقاومة الجزائرية التي أصبحت تعاني من الضعف بعد أن فقدت جميع قواعدها في الجزائر، ترى أن التأييد بالأقوالوالمساعدة في المناسبات لم يعد كافيا؛ وأن الوقت لم يعد أيضا كافيا وأت الفرصة مواتية لتوحيد الصفوف وتدخل السلطان للدفاع عن حدود مملكته الشرقية في تحالف مع الأمير عبد القادر[1] .

وقد تناول الأمير إقناع السلطان بهذه الحقيقة، وتبيين نية الفرنسيين في منطقة المغرب العربي، ولكنه لم يجد الآذان الاغنية، وفي هذا كان الأمير قد وجه بعثة دبلوماسية إلى السلطان، برئاسة ميلود بن عراش، من أجل إقناع السلطان بضرورة توحيد الصفوف[2] ، إلا أن رد السلطان كان غير واضح حيث بعث برسالة يتحجج فيها بانشغاله بأمور الدولة «.. **وإننا نتمني الحضور بأنفسنا في**

[1] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص 296.
[2] نفس المرجع، ص 269.

**غمار المسلمين، ولكن ما نحن فيه من قمع الغتاه، وكف البغاه، جهاد بل أفضل من جهاد النصارى حسبما نص على ذلك إمامنا ملك رحمه الله ..»**[1]

ولما رأى تصيمالسلطان على التمسك وقف الحياد، محمد الأمير إلى وسيلة أخرى تدفع السلطان إلى المواجهة العلنية مع فرنسا، فالأمر كان يعلم من مساعديه شغف الجماهير المغربية إلى الجهاد، وفي هذا يقول اسكوت:«... **هل يدرك الفرنسيون أن شلطان المغرب مله بحكم الروابط الدينية بحماية الأمير؟ هل يديرون أنه مهما تكن الاعتذارات التي يقدمها إليهم السلطان ليگي يجب قطع العلاقات بينه وبين فرنسا فهو في نهاية الأمر، يفضل هذه القطيعة على محاولة استعمال العنف مع الأمير، فإن الأمير عبد القادر هو البطل الذي يدافع عن الدين الإسلامي الذي يدين به السلطان عبد الرحمان، وبالتالي فلو قام بأية محاولة من هذا القبيل، أوجد الشعب المغربي يقف ضده، وفي جانب الأمير عبد القادر »**[2]

والظاهر أن أسكوت ذلك الخبير العسكري الذي زار المغرب، وطاف في أزياؤه وقبائله كان يعرف مكانة الأمير عند القبائل المغربية، وقام أسكوت على الأرجح بإيصال هذه المعطيات إلى الأمير الذي كان يرى في إقحام المغرب وضمه إلى ساحة المواجهة، ونيل شرف الجهاد الذي كانت تتوقعه الجماهير المغربية، والتي كانت غير راضية عن السياسة التي يبديها السلطان المحاه أعداء الدين [3] .

وحسب المؤرخ شارل أندري جوليان فإن الأمير حاول إقحام المغرب في الحرب[4] ، فكانت محطة الأمير أن قام بشين حملة تأديبية على بعض القبائل الجزائرية في جهة تلمسان [5]، التي كانت

[1]محمد بن عبد القادر، مصدر سابق ، ج 1، ص 285.

[2]الكولونيل أسكوت ، مصدر سابق ، ص17

[3]تشرشل ، مصدر سابق، ص 222.

[4]CHARLES Andrejulien ,op : cit , p 195.

[5]Azan .p, op: cit ,p 198.

خاضعة للفرنسيين من أجل استدراج القوات الفرنسية إلى الحدود المغربية، وبذلك يجد المغاربة أنفسهم وجها لوجه أمام عدوان فرنسي واضح[1]، إلا أن الفرنسيين الذين كانوا يتخوفون من أن تؤدِّيالحَربُمَعمولايعبدالرحمنإلىاندِلاعِحَركَةٍتحَررُّيةًّفيالمنطقة[2]،خَاصَّةًأَنَّظُروفَالحربالطويلة في الجزائر أنهگت خزانة المالية الفرنسية، مما أدى إلى تعالي أصوات المعارضة في مجلس الثواب، الذين طالبوا بوقف العمليات الحربية في الجزائر، وفي الوقت الذي تفرض فيه الحرب في المغرب الأقصى عبئا جديدا في القات، وزيادة عدد أفراد القوات المسلحة[3].

ثم إن الفرنسيين الذين كانوا لا يوافقون على إعطاء فرصة لبريطانيا، التي كان يبدو عليها الاستعداد للدخل في وضع حد للأطماع الفرنسية في المغرب، خاصة وأ رئيس وزراء بريطانيا يراقب تطورات الموقف باهتمام وقلق [4]، وقد كانت هذه هي الظروف التي كتب فيها الجنرال "بيدو" من الجنوب الغربي للجزائر، إلى الجنرال "لأموريسيار" رسالة يشكو فيها من الوضع الذي يمنعه من مطاردة قوات المقاومة الجزائرية، وتعممها إلى المغرب الأقصى، وقد اقترح "بيدو" توجيه إنذار إلى المغرب الأقصى، ثم القيام نجوم عبر الحدود، إذ لم تكن نتيجة الإنذار إيجابية[5] .

وفي إجراء غير مسبوق أقام الفرنسيون مراكز عسكرية على الحدود، تنفيذ المشروع وزارة الحرب الذي يقضي بإنشاء عدة مراكز عسكرية على الحدود [6]، وإنشاء نقاط مراقبة، ومن ضمن المناطق التي اختارها الفرنسيون لإنشاء مراكز مراقبة، كانت مدينة لالة مغنية .

---

[1] إسماعيل العربي ، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 270 .

[2] يحمي جلال، مرجع سابق، ص 169.

[3] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 271.

[4] Henri . Garrot : « Histoire Générale de l'Algerie », impcvbn, Alger, 1910, p 854.

[5] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 271.

[6] C.Brissac, Op :cit, p79 .

وإزاء هذه التطورات أرسل السلطان قائد وحدة الي الطيب القناوي، الذي وجه إنذارا إلى السلطات الفرنسية للجلاء من مغنية [1]، وقد رد عليه الجنرال لامورسيار را معت؛ لا تتنصلا ، قائلا أنه يحتل هذا المركز الذي أقيم لتسهيل إخضاع "رعايانا" بناء على تعليمات من رؤسائه [2]

وفي 30 ماي تقدم بعض الجنود المغاربة من المعسكر الفرنسي للاستكشاف، ولما وصلوا إلى المعسكر أطلق بعض المتحيرين منهم النار على المعسكر، فوقعت بين الطرين معركة انتهت بانسحاب الكتيبة المغربية إلى وجدة[3].

وفي 11 من شهر جوان وصل المارشال بيجو [4] إلى لالة مغنية[5]، حيث اقترح على القناوي أن يعقد الطرقان لقاء للتباحث، وكان بيجو قد تلقى أخبار حارث اشتباك القوات المغربية بالقوات الفرنسية لدى وصوله إلى وهران في 5 جوان، وفي ذلك اليوم نفسه كتب إلى قنصل فرنسا في طنجة ليبلعه تطورات الموقف، ويطلب منه الاتصال بالسلطان المغربي ليعرض عليه رغبة فرنسا في أن يعين أحد أتباعه، لينوب عنه في التفاوض مع السلطات الفرنسية لرسم الحدود بين البلدين.

---

[1] هنري شرشل ، مصدر سابق ، ص 223 .

[2] Henri. Garrot, Op:cit, p856 .

[3] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 272.

[4] هو المارشال توما بيجو من نبلاء بيكوربي ولد سنة 1784 بمدينة ليموج الفرنسية يلقب بدوق إيسلي، انخرط في الجيش سنة 1804 وشارك في حروب نابليون الأولى، وفي سنة 1836 عين قائدا لمنطقة وهران ، خاض مع الأمير معارك عديدة انتصر في بعضها والحزم في أخرى، ما دفعه لإبرام معاهدة تافنة في ماي 1837 التي اعترفت فيها فرنسا ثانية بدولة الأمير ، ثم استدعي إلى فرنسا ليشغل نائبا في البرلمان، وفي سنة 1840 عاد إلى الجزائر وعين واليا عاما بعد استئناف الحرب بين الجيوش الفرنسية والمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير. بقي في الجزائر إلى سنة ،1847 سلط خلالها على الجزائريين حرب إبادة شنعاء، وارتكب جرائم كثيرة كمحرقة الفراشيش 1845 ، أما عن اتجاهه السياسي فقد كان يدعي الانتماء إلى التيار الديمقراطي الليبرالي، لكنه في الحقيقة كان من دعاة النظام الملكي، وقد أصبح بيجو في الذاكرة الفرنسية وخاصة لدى المعمرين عنوانا ، "للإمبراطورية الكولونيالية " هلك سنة 1849 بداء الكوليرا _ ينظر: السيرة الذاتية للأمير عبد القادر، مصدر سابق ، ص 115.

[5] إسماعيل العربي ، مرجع سابق ، ص 272.

وفي لالة مغنية كتب المارشال بيجو إلى القناوي يعرض عليه أن يجري محادثات لتسوية النزاع مع الجنرال بيدو[1] ، لأن بيجو لم يكن يريد أن يدخل في حرب مع المغرب للأسباب التي كا شرحناهاسابقا، وقد قبل القناوي القائد المغربي هذا الاقتراح، وتمت المقابلة يوم16 جوان، ولكن المحادثات توقفت سبب إقدام بعض الفرسان المغاربة على إطلاق النار[2]، وتب عن هذا تحدد المواجهة بين الفرنسيين والمغاربة، والتي انتهت هي الأخرى بانسحاب الجيش المغربي. وأمام هذا الوضع شعر بيجو بضعف المغرب فقر الوجة إلى وجدة، فكتب إلى القناوي يبلغه عزمه على احتلال مدينة وجدة، وما جاء في رسالة بيجو: «... **إننا نرغب في أن تكون لنا نفس الحدود التي كانت للأتراك، ثم يعبد القادر من بعدهم، إننا لا نريد أن نأخذ شيئا منكم، ولكن يجب أن تصر على أن لا تؤوا عبد القادر بعد الآن، وأن لا تمحوه المساعدة أو التأبيد، وأن لا نعشوه بعد أن يكون قد أوشك على الهلاك، ثم طلقوه ضدنا من جديد، إن عملا كهذا ليس من الصداقة الحقة، إنا نخوض حربا. وإنكمكنتم تقومون بالحرب ضدنا على هذا المنوال منذ سنتين، إننا نطلب نكم أن حاصروا دائرة عبد القادر وكبار مساعديه ... و شجع تجارتكم وتكون في صالح حكومة مولاي عبد الرحمان بقدر ما نستطيع . أما إذا تصرفتم غير ذلكسنكون أعداء لكم** »[3].

ولكن هذا الإنذار لم يأت بنتيجة، فقد تراجع الجيش المغربي إلى الداخل، وفي المقابل زحف بيجو على وجدة التي احتلها بدون مقاومة، حيث كان القناوي قد انسحب منها بجيشه و اله إلى تازا[4] .

[1]Henri . Garrot, Op :cit, p856 .

[2]تشرشل، مصدر سابق، ص223. 2 – نفس المصدر، ص 224 .

[3]تشرشل، مصدر سابق، ص223. 2 – نفس المصدر، ص 224 .

[4]إسماعيل العربي ، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص 273 .

على الرغم من المعارك التي جرت عند لالة مغنية، والإنذارات الفرنسية المتوالية، فإن السلطان عبد الرحمن قد الترم الصمت الام، وقيل أين هذا الموقف الذي ينه عن الهدوء والقير كان نتيجة تشجيع ممثلي بريطانيا، الجنرال ولصن في جبل طارق، ودوق هاي القنصل البريطاني في طنجة، اللذين تتجاه مقاومة الشغوط الفرنسية بالوسائل الدبلوماسية [1]، ويبدو أن بريطانيا كانت قد أوفدت إلى فرنسامذكرة احتجاج.

وفي نطاق هذه السياسة التي تستهليف إغراء بريطانيا حتى تفسح المجال للمناورات الفرنسية، استقبل الملك لويس فيلب سفير بريطانيا في باريس، وأكد له أنه في حالة عدم استجابة السلطاني المغربي للمطالب الفرنسية، لا قدم فرنسا ضمانات عن عدم إمكان وقوع الحرب.

وفي هذه المرحلة أخرج بيجو عروضه القديمة، وكتب إلى الأمير عبد القادر على إسان ليون روش [2]، عارضة عليه منحه الأمان ونقله إلى مكة مع ضمان معاش له، وقد رد الأمير قائلا : «...

---

[1]CHARLES – André julien: op ,cit .p.197.

[2]ولد ليون روش (حاج أعمر) في غرو نوبل في فرنسا في 27 سبتمبر 1809 ، شارك ولده في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830، ولما استوطن فيها دعى والده للالتحاق به، فحل الوالد فيها بتاريخ 30 جوان ،1832 تعلم ليون روس اللغة العربية من الأهالي والمزارعين الذين كانوا يعملون لحساب والده، و كان يحضر جلسات المحاكم الشرعية ، تولى الترجمة في الإدارة الفرنسية في الجزائر ، وفي أثناء الهدنة بين الأمير عبد القادر وفرنسا طبقا لمعاهدة تافنة 1837 التحق ليون روش في خدمة الأمير كجاسوس المصالح فرنسا ابتداء من 23 نوفمبر 1837 ،ولازمه في حروبه الداخلية وتنقلاته واجتماعاته، وأصبح أحد كتابه الخاصين المقربين، أعلن ليون إسلامه أمام الأمير ، وسماه الحاج عمر ولد الروش، إلا أن تحدد الحروب بين فرنسا والأمير أظهرت ليون روش على
حقيقته،ورجعإلىقومهبعدأنعرفأسرارالأميروأعلنأنهلميكنمسلماوأصبحمعروفاأنهكانيتجسسعلىالأمير،وبعد مهمته هذه انتقل إلى تونس ثم طنجة بالمغرب حيث تولى قنصليتها، توفي سنة 1901 – ينظر : ليون روش، اثنان و ثلاثون سنة في رحاب الإسلام تر: محمد محمود البقاعي ،ط1، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2001 ، ص ص12 13 14

**إنني أعرف جيدة ديني، وأعلم أن جهاد ساعة في سبيل الله، أفضل عندي كجندي من قضاء بين سنة في مكة...** »[1] .

وكان الضغط الفرنسي على السلطان متواصلا، والنزاع الذي نشب على الحدود سرعان ما انتشر إلى الجنوب، وفي شهر جوان انطلق الأسطول الفرنسي من طولون قيادة الأمير" دي جوان فيل "، الذي وصل في أواخر شهر جويلية إلى المياه الإقليمية للمملكة المغربية[2] ، وذلك ليعترز احتجاجات القنصل دي نيون[3]، هذا الأخير الذي كان قد وجه إنذارة إلى السلطات المغربية ليؤكد فيها المطالب الفرنسية، حيث حدد "دي جون فيل" ابن الملك ثمانية أيام مهلة للرد على مطالب الأمير الفرنسي، ولما لم يتلق ردا مباشرة ع في قصف مدينة طنجة بالمدفعية يوم 6 أوت، ثم الصويرة (موجدور) في يوم 25 أوت، وجاء في الابتسام أن الأسطول الفرنسي ألقى خمسيئة قذيفة على مدينةطنجة : « ... **ورد الخبر بأن العدو حارب طنجة فرمى عليها خمسمئة من الكور والبنب في نحو ستي ساعات ...ثم بلغ الخبر بأن عدو الله قم بمراكبه إلى ثغر الصويرة..**»[4]. وفي هذه الأثناء كانالسلطان عبد الرحمن قد أنهى كل الترتيبات الخاصة بالجيش الذي عهد به إلى ابنه المولاي سيدي محمد ، الذي ضرب معسكره عند وادي أسيلي على مسافة كيلو متر إلى الشمال الغربي من وجدة[5].

[1]CHARLES - André julien : op ,cit .p.195.

[2]د. عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ص 13.

[3]Henri . Garrot, Op :cit, p857 .

[4]أبو العلاء إدريس، الابتسام، مخطوط سابق، ص 227.

[5]CHARLES-André julien: op -cit ،p 198

وفي 11 من نفس الشهر، تلقى "بيجو" رسالة من جوان فيل يخبره فيها بقيام الأسطول الفرنسي بقصف "طنجة "و "موجدور"[1] ، وفي 13 من نفس الشهر وصل إلى بيجو أمر من الحكومة يقضي بعدم تجاوز الحدود المغربية، ولكن المارشال ضرب بالأمر عرض الحائط، وهيا في اليوم الموالي جيشه الذي يتكون من 11500 جندي، ثم عبر النهر، ودخل في معركة مع الجيش المغربي الذي يقدر ب 30 ألف مقاتل[2].

يذكر الناصري في الاستقصا أن الأمير عبد القادر كان قد عرض على الخليفة المولاي سيدي محمد تدابير حربية، إلا أثر هذا الأخير رفض رأي الأمير، يقول الناصري:

**«... ولما احتل الخليفة سيدي محمد بوسلي وعسكر بها، جاءه الحاج عبد القادر يستأذن عليه في الاجتماع، فأذن له واجتمع به وهو على فرسه، فدار بينهما كلام كان بين جملته أن قال الحاج عبد القادر إن هذه الفرش والأثاث والشارات التي جئتم بها، حتى وضعتموها بباب جيش العدو ليس من الرأي في شيء، ومهما نسيتم فلا تنسوا أن لا تلاقوا العدو إلا وأنتم متحملون منكيرشون بحيث لا يبقى لكم خباء مضروب على الأرض، يراه العدو وإلا فإنه متى رأى الأخبية مضروبة لم ينتبي دون الوصول إليها، ولو أفنى عليها عساكره، وبين كيف كان هو يقاتله ... وكان هذا الكلام منه صوابا، إلا أنه لم ينجح في القوم لا نفساد البواطن.. »**[3] .

[1]BENACHENHOU – a ": l'état algerien en 1830 ses institutions– Sous 1 Emir Abdelkader"ed ENAG Alger 2009 «p128.

[2]إسماعيل العربي ، مرجع سابق ، ص،280.

[3]الناصري ، مصدر سابق ، ص 280.

واستنادا إلى الرسالة التي بعث بها المولى محمد إلى أبيه، السلطان عبد الرحمن فإن الأمير تم يشارك في المعركة «... **والسيد عبد القادر بن محيي الدين تأتمر بمن معه إلى ملوية بألطف إشارة..** »[1] .

ويظهر من ذلك أين المولاي محمد كان يريد أن تكون الحرب فرنسية مغربية، وحتى لا تكون حجة الحرب بين الطرفين هي الأمير «.. **فلم يبق للكافرين الآن ما يتعر به من جهته** ...»[2]

وفي يوم 14 أوت 1844م إلتقى الجيشان، حيث قامت معركة طاحنة استمرت يوما كاملا، انتهت بهزيمة منكرة للجيش المغربي [3]، وقد قر بيجو عدد القتلى من الجانب المغربي ب800 قتيل، وعدد الجرحى بما يتراوح بين 1500 و 2000 جريح[4]، أقا خسائر القوات الفرنسية حسب تقارير رسمية، فهي لا تتجاوز أربعة ضباط قتلى، و10 ضباط محروحين، و27 من الجنود القتلى، و87 جريحا [5]، على أن هذه الأرقام تعتبر تقريبية إذ تذكرنا ما عرف به بيجو من الضخيم والتهويل بالأرقام، لأغراض الدعاية في بلاغاته التسمية.

لاشك أثر هذا النصر السريع، وتلك الخسائر غير المتوازنة بين الطرفين، كانت رسالة واضحة العبارات للشلطان عبد الرحمن ليعيد حساباته في الجهة الشرقية، ولم يبق له من الخيارات في هذه الجهة سوى اثنين لا ثالث لهما، فإما أن يدخل في حرب طويلة ضد فرنسا، ويشهر لها العداء ليعيد ملاجم أجداده السعديين في واد المخازن، ويعيد بطولات المولى إسماعيل، أو الاستسلام

[1] ابن زيدان، إتحاف، مصدر سابق، ص 68.

[2] ابن زيدان، إتحاف، مصدر سابق، ص 68.

[3] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص 280 .

[4] CHARLES. Andre julien : op -cit p198.

[5] Henr.Garrot,cit,p85

لضغوطات الفرنسيين والشكر لدماء الشهداء في وادي إيسلي، والتنكر للواء الجهاد المعقود في المقاومة الجزائرية تحت قيادة الأمير عبد القادر .

**المطلب الثالث : معاهدة طنجة ولاية مغنية**

لقد لاحظنا كيف انتصرت فرنسا عسكرية على الجيش المغربي، هذا الانتصار الذي له من الأسباب ما لا يخفى أمره، فهي –أي فرنسا – دولة قوية مرهوبة الجانب، أما المغاربة فدخلوا المعركة دون تدبير رغم كثرة الجني، فقد كانت الخسارة ثقيلة ومخزية أدخلت المغرب مرحلة جديدة من تاريخه، فقد فيها عثرته، وفقد فيها نشوة وادي المخازن، إ معركة "إيسلي" في الواقع أبرزت للشلطان مولاي عبد الرحمن حقائق الأمور، منها أن قواته غير متكافئة مع قوات الفرنسيين، وأنه لا يستطيع مواجهتهم مستقبلا[1]. ولذلك غير سياسته كلية، فصار يناور ويراوغ، ويستعمل كثيرا من الدهاء، بل

صَاريُجامِل،ويَقبَلُبَعضاالحُلولِفيالمشاكلالمعروضَةِ،مثلَقضِيَّةالحدودحَيثوقَّعَمُعاهَدَتَيْنمَعالفرنسيِّين:

**الفرنسيين : معاهدة طنجة :10 سبتمبر 1844م[2]:**

بعد هزيمة أوت لم يبق أمام السلطان المغربي سوى الخيار الدبلوماسي، الذي رأى فيه أقرب الحلول للحفاظ على العرش، وهنا فوض السلطان إنائيهوعاليه بطنجة بوسلهام بن علي عقد المعاهدة، والمملح المقترح عليه من لدن فرنسا[3]. وكرت المفاوضات بين الطرفين، حيث تمثل الوفد الفرنسي كل من الدوق "غلوسبرGlusber" سفير فرنسا في مدريد، والدكتور "وارنييهWarnier" ، والقنصل الفرنسي بطنجة "دي نيون Nion "، أما الوفد المغربي فمثله بوسلهام بن علي عاما

[1]أبو بكر القادري، مرجع سابق، ص16 .

[2]أنظر الملحق رقم 04 .

[3]عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ج 10، ص 15.

طنجة، والفقيةبوسلام، وانتهت المحادثات بعقد معاهدة طنجة يوم 10 سبتمبر 1844م، والتي تضممت ثمانية شروط [1]، يهمنا منها الثالث والرابع والخامس، حيث جاء في الشرط الثالث أن يلتزم السلطان المغربي بعدم تقديم المساعدة لأي ثائر ، أو إفرنسا، أما الشرط الرابع فتمثل في وضع الأمير عبد القادر خارج عن القانون [2]، على امتداد الدولتين الجزائر والمغرب، وعليه يجب متابعه بالسلاح على تراب البلدين [3]

ونص البند الرابع من هذه المعاهدة على أنه إذا وقع الأمير عبد القادر في أيدي الجيش الفرنسي، فإن الحكومة الفرنسية تلتزم معاملته بكل احترام ومروءة، وفي حالة وقوعه في أيدي السلطان فإنه يلتزم سجنه في إحدى مدن الساحل الغربي، حتى ينظر الطرفان في الإجراءات اللازمة لمنع عباد القادر من حمل السلاح، وإفساد ما بين الجزائر والمغرب، ويحتوي الشرط الخامس على تحديد الحدود ما بين أملاك فرنسا والمغرب، فتبقى ثابتة حسب ما كان معترفة به على عهير الدولة العثمانية في الجزائر [4]

- **معاهدة لالة مغنية 18 مارس 1845 م :**

تبقى أسباب عقلي المعاهدة الثانية بين فرنسا والمغرب في هذه الفترة مجهولة، وخا بعد مرور ستة أشهر فقط على توقيع معاهدة طنجة، إلا أنه من الراجح أن أسباب عقد هذه المعاهدة ترجع في أساسها للطرف الفرنسي الذي كان يرى في معاهدة طنجة، عاهد غامضة خاصة إذا علمنا أن الجنرال "بيجو" الذي كان غير راض بعدم إشراكه في معاهدة طنجة، قد ضغط أمام البرلمان

[1]Henri . Garrot, Op:cit, p860 .

[2] بلعربي نورالدين، "معركة إيسلي وانعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير"، بحلة الحكمة، العدد 12، السنة 2017، ص 107

[3]CHARLES-Andre julien : op - Cit ,p.200.

[4] إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 - 1934 ، دار هومة ، الجزائر ، 2009 ، ص341.

الفرنسي لإعادة النظر في مسألة الحدود، ويبدو أنه كان يريد ضم مدينة وجدة إلى نطاق حدود دولة الجزائر، كما كان يرى أ مسألة الحدود ستكون موضوع اتفاقية خاصة.

بعد معاهدة طنجة أرسل الماريشال "بيجو" رسالة إلى ولي العهد المولى محمد بن عبد الرحمن بتاريخ 17 سبتمبر 1844م، يحره فيها من تحات الأمير، ومما جاء في هذه الرسالة ما يلي: «.. **إين الحاج عبد القادر قد انتقل لوط هذه الأقطار، فليس هكذا الطلب منك بل أردنا أن ينتقل بأهله ومن معه إلى مرسى من مراسيكم البعيدة، ولزموا أنفسكم أن لا يخرج من موضوع وضع فيه قط، سيما تلتزموا أن لا يرجع لمضادينا بالواحي الشرقية ولم يكن بيننا سبب في القتال إلا هو فقط**...»[1]. ويبدو أن بيجو كانت بنيه الضغط محددة على المغرب تمهيدا لمشروع ترسيم الحدود بين الدولتين.

ولما كان لزاما على الطرفين الجلوس محددة للتفاوض حول مسألة الحدود حسب ما نصت عليه الشرط الخامس [2]من اتفاقية طنجة:« ... **تحديد الحدود بين المملكتين يبقى مقودة ومتفقة بين الطرفين على عهد الأتراك بالجزائر، وسيكون لتحديد الحدود الام و المنتظم لهذا البند موضع اتفاقية خاطئة تعقد بين الطرفين في عين المكان بين المكلفين لهذا الشأن من قبل جلالة إمبراطور فرنسا و بين مندوب عن الحكومة المغربية** .»[3]، فقد اجتمع الطرفان في مدينة مغنية يوم 18 مارس 1845م، للاتفاق حول رسم الحدود، وقد اشترك في المفاوضات التي تركت باتفاقية لالة مغنية بين الجانب الفرنسيإضافة إلى الجنرال، دو لاروا ( De la rue) ، والمترجم ليون روش (Léon roch )، الذي كان يشغل منصب قنصل فرنسا بطنجة، بالإضافة إلى

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، ص ص 341 - 342.

[2] M H. de La Martinière N Lacroix : « Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest africain »,T1, gouvernement générale de l'algerie, Service des affaires indigenes, 1897,p 25.

[3] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 3، مرجع سابق، ص 205.

العقيد ريورات (Rouret)، وقد تشكل الوفد المغربي من : سي حميدة الشجعي عامل وجدة، والسيد أحمد خضر السلاوي كاتب الأوامر السلطانية [1]، ومثلا شخصية عن السلطان عبد الرحمن.

وبموجب هذا الاتفاق وقع الطقان على معاهدة حملت اسم المكان الذي وقع فيه التفاوض "لالة مغنية" يوم 18 مارس 1845م، والتي رسمت الحدود بين البلدين[2]، حيث نصت المعاهدة على رسم تفصيلي للحدود الإقليمية والسياسية ما بين الجزائر والمغرب، ابتداء من سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى منطقة ثنية الشاسي، كما حددت ما بقي منه انطلاقا من أسماء القبائل التابعة يتم بين البلدين .

تضمنت المعاهدة سبعة شروط ته المسألة الفرنسية المغربية « **هذا تقييد ما اتفق عليه نائب سلطان مراكش وفاس، وسوس الأقصى، الفقيه السيد حميدة بن علي الشجعي عامل بعض مملكة المغرب، ونائب سلطان الفرنسيس وسائر مملكة الجزائر، الجنرال "ارستيديزيد ور" والكونت "دولا روا" صاحب نيشان الافتخار لدولة الفرنسيين** » [3]

أشار البند الأول من الاتفاقية إلى أن وكيلي الشلطتين الفرنسية والمغربية، اتفقا على إبقاء الحدود بينها كما اتفق عليها في الماضي بين الأتراك وملوك المغرب السابقين، حيث لا يتعدى أحد حدود الآخر، ولا يحق لأحبر البناء في الحدود، ولا تميز بالحجارة، بل تبقى كما كانت قبل استيلاء الفرنسيين على الجزائر.

[1] محمد مزيان، "جذور النزاع الحدودي بين الجزائر والمغرب"، بحلة كان التاريخية، ع 22، ديسمبر 2013، ص 40.
[2] إسماعيل العربي ، مرجع سابق ، ص 282 .
[3] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء، مرجع سابق، ص 342 .

أما البند الثالث، فقد تطرق إلى تحدي تفصيلي للحدود بين "قم عجرود" مع البحر الأبيض المتوسط، إلى "ثنية ساسي"، الواقعة على بعد 150 كلم نحو الجنوب[1]. أما الشطر الرابع من هذه الاتفاقية تعرض لوضعية المجال الصحراوي المشترك بين المغرب والجزائر، ونص على عدم وضع أيحد فاصل هذا المجال لكونه لا يحرث، وإنما هو مرعى للقبائل المتنقلة والتي ينبغي أن تظل تتبيع موارد الصحراء المائية والكلئية[2].

أما عن الصحراء المشتركة فقد اقتصرت المعاهدة على الإشارة إلى ممارسة كل سلطة السيادتها على رعاياها في تلك الصحراء، وعلى حسب شهادة الموقعين على اتفاقية "لالة مغنية"، فإن الحدود بين الجزائر والمغرب تمت إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: يمتد من مصب واد كيس في البحر الأبيض المتوسط، إلى" ثنية الساسي"، الواقعة على بعد 150 كيلومتر إلى الجنوب .

والقسم الثاني : يت من" ثنية الشاسي" إلى" فقيق[3] جنوبا، وهذا القسم تم تعين محدوده بليقة، وإنما نص فيه على القبائل والقرى التي ذكرت على أنها تابعة سلطة الفرنسيين في الجزائر[4].

والقسم الثالث : يقع جنوبي "فقيق" وقد اتفق المتفاوضون، وبناء على برقية وصلت من "الكي دورصي " على أن لا تعين محدوده ولا قبائله، بحجة أنه صحراء ومراعي لرعايا الدولتين[5].

---

[1] محمد مزيان، مقال سابق، ص 42.

[2] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ، مرجع سابق ، ص 342.

[3] قيق أو فجيج: هي إقليم واسع يمتد على مساحة تقدر ب 900 كلم2، وتحتوي على واحات كثيرة بما ثمانية قصور أشهرها العابد وزناقة، كانت في العهد الزياني تابعة إلى مملكة تلمسان، وبعد حملة المنصور في صحراء السودان الغربي ضمها إلى ملك السعديين – ينظر : إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص 386.

[4] MH. de La Martiniere N Lacroix :T2 , Op. cit., p2.

[5] عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ج10، ص16 .

اعتبرت فرنسا أن افاة لالة مغنية من جانب إطارها الأول اتفاقية سلام بينها وبين المغرب، ولعل ما يؤكد ذلك رسالة دو لاروا ( De la rue) إلى وزير الحرب الفرنسي عشية توقيع المعاهدة « **إن النتيجة المحصل عليها من اتفاقية لالة مغنية جد مهمة، وأتوقع أن تكون أكثر من ذلك عندما تقوم بنشر مضامينها، فهي في الواقع لم تسمح لنا بإقامة حدودنا الغربية مثلما كانت أيام الشرك، ولكنها الآن أكثر وضوحا ودقة ... باختصار فاتفاقية لالة مغنية هي معاهدة سلام** » [1]

لقد عبر السلطان عبد الرحمن في البداية عن رفضه للمعاهدة، فقد اقتطعت هذه الاتفاقية – برأيه – أجزاء مهمم من التراب المغربي لصالح الفرنسيين في الجزائر، وهذا من خلال الرسائل التي بعتها إلى عامله بوسلهام بن علي [2]« ..... **وان عدوالدين خدعهما وبذل لهما الطمع حتى أدخل طرفا وافرة من هذه الإيالة السعيدة في إيالة الجزائر** ..»[3]، إلا أنه وافق عليها فيما بعد، لما تبين له أثر الاتفاقية صحيحة، وخاصة بعد وصول تقارير من كبار وشيوخ قبائل الحدود، تؤكد أن رسم الحدود مطابق لما كان عليه أيام الشرك بالجزائر «... **أن أمرها كان على حق، وتحري حدود الترك القديمة المشهورة، فحيث كان الأمر على هذا الوجه فلا كلام فيه، وإنما حملنا على المراجعة ما ادعاه أعيان القبائل الذين وجدهم الحال بحضرينا[4]، وكان عددهم ينيف على**

[1] محمد مزيان، مقال سابق، ص 41.

[2] نشر حمالش في كتابه وثائق تاريخ الجزائر ثلاثة رسائل في شأن رفض السلطان عبد الرحمن للمعاهدة، تحمل الأرقام 24 – 25 – 26 مؤرخة على التوالي في 27 ربيع الأول 1261هـ /04 أفريل 1845م و9 ربيع الثاني 1261هـ/ 16 أفريل 1845م و6 جمادى الأول 1261هـ /12 ماي 1845م ، ص ص 95 97

[3] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 208.

[4] كان هؤلاء الأعيان في فاس عند توقيع المعاهدة لحضور حفل المعايدة بمناسبة العيد.

**المائتين ... فهم فيما ادعوه بين أمير الحدود أكذب، إلا أردنا قطع خجتهم، وإيضاح دعواهم وقد كتبوا بعد توجههم بأثر الحدود على حدود الترك ..»** [1]

لقد انتهت اللعبة السياسية الفرنسية بنفس النجاح الذي حققته على أرض معركة "إيسلي"، حيث اعتبر الفرنسيون الأمير عبد القادر العقبة الوحيدة في العلاقات الثنائية، حيث تمثلت هاتان الاتفاقيتان بداية مرحلة جديد في تاريخ العلاقات السياسية بين الفرنسيين والمغاربة بين جهة، وبين الجزائريين والمغاربة من جهة ثانية.

وعلى صعيير علاقات السلطان عبد الرحمن بالأمير وفرنسا، فقد حدد ما الاتفاقيتان الموقتان بين فرنسا والمغرب، وهما الاتفاقيتان اللتان وضعتا حا لأطماع "بيجو" في المغرب بعد موقعة "إيسلي"، لولا ديد بريطانيا بالدخل، كما يمكن اعتبار المعاهدتين من الأهمية كان بحيث وضعتا أرضية جديدة علاقات المغرب بالجزائر، ومع فرنسا في الجزائر أيضا، والأهم من هذا أثر المعاقين قمان المغرب مباشرة في أحداث الجزائر وذلك من خلال : – اعتراف المغربالشلطة الفرنسية في الجزائر .

– التنكر لجهاد الأمير عبد القادر وقبول حق مطاردته مع غيره من المجاهدين من قبل الفرنسيين والجيش المغربي[2].

وهكذا انتهت معركة جانبية لا شك أين الأمير الذي هو صاحب الشأن الأول فيها، قد تحت مرارا ، فكان عليه الاستعداد لمواجهة فريقين: الأول دخيل مستعير، والثاني أخ عدو . لقد تلقى الأمير خبر المعاهدتين بالحزن وخيبة الأمل، لأ هذه المعاهد وإن لم تكن لصوصها قيمة عملية في الحد من نشاطه، فهي بالتأكيد قد وضعت حدا لأماله في توسيع نطاق المعركة، بحيث تندمج المقاومة الجزائرية المغربية وتنطلق في مجهود مشترك يطرد العدو من البلدين .

[1] خليفة إبراهيم حماش، مرجع سابق، ص ص 99 100

[2] محمد العربي معريش، مرجع سابق، ص 34.

## المبحث الثاني : توتر العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان

إذا كانت هزيمة إيسلي نقطة تحول حاسمة في سياسة المغرب الداخلية والخارجية، فقد كانت أيضا نقطة تحول عميقة في مسار الكفاح الجزائري تحت لواء الأمير عبد القادر، فبعد إيسلي، رأينا كيف وقع السلطان عبد الرحمن على معاهدة طنجة، التي نقلت المغرب من موقف المؤيد للأمير إلى موقف العدو، فالأمير الذي أراد أن يدفع بالقوات الفرنسية إلى ما وراء الحدوير المغربية، طمعا في أن تفضي الأمور كما أسلفنا إلى دخول المغرب في معادلة الصراع، مما سيعطي للنزاع القائم بين الأمير وفرنسا بعدة دولية، انقلبت عليه الظروف فتدت فرنسا والمغرب ضده .

### المطلب الأول : إشاعة محاولة انقلاب الأمير على الحكم في المغرب

إثر توقيع السلطان على اتفاقية طنجة، واعترافه بحق فرنسا في الجزائر، واعتبار أن الأمير رجل خارج عن القانون، وتعهده بطرده أو اعتقاله وتسليمه إلى الفرنسيين، كلها أمور زادت من خط المغاربة ضد المخزن وتصرفاته، فالمغاربة المعجبون بالأمير[1] الذي كان في نظرهم بط؟ وطنية مدافعة عن الإسلام، كانوا مستعدين – حسب ما ذكره المصادر – تنصيبه بدل السلطان عبد الرحمن [2]

فتذكر بعض المصادر أنه بعد توقيع السلطان على اتفاقية طنجة كاب بعض الموظفين من العسكريين والإداريين الأمير يتولون إليه لإنقاذ الدولة من الانهيار[3] ، كما تشير إحدى التقارير الفرنسية التي بعثها الجنرال دوماس Doumas إلى الماريشال بيجو في 25 فيفري 1845 م، إلى أن أثرياء مدينة فاس كانوا ينشرون فكرة توتي الأمير أمر المملكة، وأنهم كانوا يتبادلون معه

[1] المرجع السابق، ص 30.

[2] ب ج روجرز، تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900، تر وتع يونان لبيب رزق ،دار الثقافة ، الدار البيضاء ،ط1 ، 1981، ص 193.

[3] برونو أتيين، مصدر سابق، ص 196230,p, cit ,op : CHARLES -André julien ..

الرسائل [1] ،كما أن بعض القبائل اتصلت بالأمير وعرضت عليه البيعة وخلة السلطان، وفي هذا يقول صاحب تحفة الزائر « ... **قبل سلطان مراكش هذه الشروط وتقرر المملح، ولما شاع هذا الأمر في نواحي المغرب الأقصى، وسارت الركبان بما وقع لجيوشهم وجموعهم مع الفرنسيين، كبر عندهم ذلك وتسبوا المؤثرة فيه إلى سلطانهم وقواد الجيوش، وكثر القيل والقال، وافق أكثر القبائل على انتفاض على السلطان، وإعطاء الطاعة للأمير لما كانوا يسمعون عنه من الإقدام والشجاعة والقيام بأمور الجهاد على ما ينبغي ... فكاتبوه في ذلك، فلم يقبله منهم، وقال إني دخلت بلاد السلطان لا لأكون ضده، أو إنأخذ منه ملكه**»[2]. إلا أن الأمير أنكر عليهم هذا العرض ورفض الأمر جملة وتفصيلا، حيث رد قائلا حسب ما ذكره تشرشل « .. **لقد رفضت ما عرضه المغاربة علي ليس فقط لأن ديني يمنعني من مضرة حاكم اختاره اللهوعينه** ..».[3]

أما السلطان عبد الرحمن فقد كانت تصله هذه الإشاعات في فاس عن طريق الرسائل التي كان يبعثها القنصل الفرنسي دي لاري إليه، حيث كان يحره بين أطماع الأمير بعرش المغرب [4]، ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن فرنسا قد جرت لذلك منذ زمن، حيث عملت على إيغار صدر السلطان ضد الأمير، وأوعزت إليه بأثر الأمير يرغب في إنشاء سلطة مستقلة في المغرب، وأنه – أيالأمير – ينوي الاستيلاء على الشلطة بعد ثورة عاتية، والقضاء على الأسرة العلوية، وتنصيب بني هاشم [5]

[1] تشرشل ، مصدر سابق، ص 225.
[2] محمد بن جبور، مرجع سابق، ص 210.
[3] محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج 1، ص 292.
[4] تشرشل ، مصدر سابق ، ص 225.
[5] يحي جلال، مرجع سابق، ص 177.

ومع الأسف فقد ساير بعض المؤرخين المغاربة المعاصرين للأحداث هذا الطرح، ومنهم الناصري الذي ذكر أن الأمير كان يريد الوصول إلى العرش « .. **وكان ممن فساد نية الحاج عبد القادر، أنه رام الاستبداد بل والتملك على المغرب** .»[1]، ويتحدث ابن زيدان أيضا عن الإشاعات التي راجت بعد معركة إيسلي، من أثر الأمير ناصب السلطان العداء[2]، إلا أننا وبعد تفحصنا العميق لهذه الوقائع، استنتجنا أن الأمير لم يكن في نيته الانقلاب مطلقا على السلطان عبد الرحمن، وحتي ينفي الأمير تلك الإشاعات بادر إلى توضيح الأمور فأرسل مكتوبة يتبرأ مما نسب إليه من بهتان [3] ويطمه بأنه لا يطمع في عرشه[4].

## المطلب الثاني : تحريض القبائل المغربية ضد الأميرو استفتاء الأمير للعماء شأن السلطان المغربي

بدأ تنفيذ الخطة الفرنسية المغربية التي تقضي طاردة الأمير، منذ أواخر أكتوبر 1845م[5]، حيث ازداد الضغط الفرنسي الانجليزي على السلطانمقتضى معاهدة طنجة[6]، وخاصة بعد عودة الأمير عبد القادر إلى الدائرة صيف 1846م، فكانبالسلطان الأمير بمغادرة بلاده طوعا أو تسليم نفسه، أو سيضطر إلى استعمال القوة ضده ، وفي نفس الوقت أمر السلطان القبائل المجاورة للدائرة بالتضييق على الأمير وقطع التموين عنه وتحافاته، فكتب إلى الشيخ بوزيان ، شيخ قبيلة الأحلافرسالة يأمره فيها باتخاذ الإجراءات الفعالة لإخراج الأمير من المغرب حيث جاء فيها «...

---

[1] الناصري ، مصدر سابق ، ج3، ص308.

[2] ابن زيدان، إتحاف، مصدر سابق، ص 75.

[3] المصدر السابق، ص 75.

[4] محمد علي الصلابي، مرجع سابق، ص 495.

[5] محمد العربي معريش، مرجع سابق ، ص 35 .

[6] يرجع إلى نص الرسالة التي كتبها السلطان عبد الرحمن إلى عاملة الطالب بوسلهام المؤرخة 06 ذي القعدة 1261هـ/ 05 نوفمبر 1845م، في شأن ضغط بريطانيا وفرنسا على المغرب للإلتزام بالصلح وإنهاء وجود الأمير في المغرب: ينظر خليفة حماش، ص ص 115 114

**بلغنا أن الأمير عبد القادر ومن انضاف إليه من إخوانكم الذين استفرحهم ودعهم بتمويهه وأباطيله ... وقد خدعهم بإظهار الدين وأحوال الصالحين، وما في ضميره إلا الفساد وإيقاد الفتنة بين العباد ... ونحن لا نكره الجهاد بشروطه، ونكره ما يعود بالر والغلبة الجانب الإسلام، ولكن هذا المشئوم أراد نقض ما أستناه من الصلح الشرعي، وإيقاد الفتنة بعد إطفائها سعيا في هضم جانب ركم وإفساد دينكم ودنياكم ... فها نحن أمنا الأمجد بوزيان بالقيام على ساق الجد وإخراجه ودائرته من إيالينا السعيدة طوعا أو كرها ، وخشم مادة تنتهم وضلالهم، فكونوا معه يدا واحدة، وشدوا عده على ذلك حتى يقضي الغرض إن شاء الله»** [1]

وقد رد الأمير على مضايقات القبائل المغربية كعادته بالطرق الدبلوماسية، حيث كتب إلى السلطان رسالة يطلب فيها وقف اعتداء القبائل المغربية على الدائرة: «... **أما بعد، فإي كاتبتكم أولا ، والتمست نكم كف ضرر قبالكم المجاورة لنا وتعديها على من تبني، وسوء معاملتهم لهم، هم دين واحد وشريعة واحدة، فلم يأتني جواب عن ذلك، ولم يحصل لهم ردع من طرفكم، ومع هذا كله أنا صابر ومتحمل لما يجرونه كراهة في سفك دماء المسلمين مدة ستة أشهر، طمعا في رجوعهم عن الغي والطغيان إلى العدل والإحسان، مع قدرتي عليهم في كل آن، فإن لم تردعهم الآن عن أفعالهم، وترجعهم عن قبيح تصرفاتهم، ألتزم المحاماة عن حقوقي، والمحافظة على شرف أتباعي، ولذا بادرت بإخباركم والسلام عليكم»** [2]

[1] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص 310 309

[2] المرجع السابق، ص310.

ويبدو من خلال هذه الرسالة أن الأمير كان قد راسل السلطان المغربي في أكثر من مرة، وذلك في قوله: «... **فلم يأتني جواب عن ذلك**... »، وفضلا عن هذا، فقد كان الأمير طيلة الفترة التي عاد فيها إلى الدائرة صابرة على أذى قبائل المخزن المغربية، ولم يواجههم رغم قدرته على ذلك .

وبعد هذا اجتمع الأمير بقادة جُنده وكبار ضباطه، وأطلعهم على حقائق الأمور، فجلس وقال: «... **بسم الله الذي لا يجوز لنا القيام بأي عمل إلا بذكر اسم الله تعالى، والآن سأطلعكم على رسالة السلطان عبد الرحمن إلى أحد زعماء بني سناسن وقعت بيد أحد أعواننا سلمها إلي، وهي بيئة رسائل كلها أرسلت إلى القبائل ...إن السلطان يحرض القبائل على المد، ويتدل في شؤون دولتناوأكثر من هذا يطلب من هذه القبائل تقديم العون للفرنسيين** ...»[1]. هذا، وأخبرهم أين السلطان عبد الرحمن قد عزم مع العدو على إذلال المجاهدين، وطلب إليهم معرفة رأيهم بشأن الموقف الذي ينبغي أن تتخذه المقاومة إذا تعرضت للعدوان، فكان ردهم «... **إنا بايعناك على السمع والطاعة والجهاد إلى الموت ونحن مستعدون للوفاء بالعهد** »[2]. ورغم هذا ظل الأمير يتحرى الطرق السلمية في مواجهة تعدي القبائل المغربية، حقنا لدماء المسلمين، راجيا أن يصله جواب السلطان الذي طال انتظاره .

**نكبة قبائل بني عامر في المغرب**

نتيجة الركود الذي أصاب المقاومة سنة 1845م، قرر الأمير إعادة بعير روح الجهاد في القبائل الجزائرية، فاضطره ذلك إلى مغادرة المغرب نحو الجزائر، التي دخلها شتاء 1846م، حيث تمكن من إقتناع بعض القبائل للانضمام إليه، واللحاق بالدائرة في المغرب، وذلك لح د ير كبيرة ينطلق بها التحرير الوطن، وخلال غيابه عن الدائرة، عبر تدريجيا عدد من القبائل الجزائرية الحدود، وكان

[1] محمد علي الصلابي، مرجع سابق، ص 496.

[2] محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج 1، ص 321.

أشهرهذه القبائل قبيلة بني عامر[1] ، وقد كانت هذه القبيلة كبيرة بحد وحدها ما يتراوح بين 6000 و7000 فارس [2]، ومثلهم تقريبا من المشاة في جيش الأمير، وكان من سوء حظ هذه القبيلة أنهاوصلت إلى الدائرة في المغرب، وهي تعيش أوضاع مزرية [3]، حيث كانت تعاني من قلة الإمداد بسبب الحصار الذي ضربته القبائل المغربية المجاورة لها بأوامر السلطان عبد الرحمن.

وفي 06 أفريل 1846م، وصل إلى الدائرة مبعوث من الأمير يحيل أوامر بتسليم مهام الدائرة إلى ابن التهامي عوض البوحميدي، هذا الأخير الذي رفض الأمر ودخل في صراع مع ابن التهامي في مسألة الأسرى، ولما كانت قبائل بني عامر تخضع لطاعة البوحميدي فقد تمردت على ابن التهامي[4]« ... **لما ترك المهاجرون من بني عامر الدائرة لما وقع بينهم وبين ابن التهامي خليفة الأمير عليها بدسائس من الخليفة البوحميدي، ارتحلوا إلى فاس مغاضبين** » [5]، وفي إجراء غير مسبوق قام ابن التهامي بإعدام الأسرى الفرنسيين يوم 24 أفريل 1846م[6]، بعدما وصلته إشاعات حول محاولة الجيش المغربي تحرير الأسرى[7]

وفي منتصف شهر ماي تدهورت أوضاع الدائرة أكثر من ذي قبل، خاصة بعد أن تخلى عنها كبار قادة الجيش، كابن عراش، والبركاني، الذين انتقلا مع عائلتيهما إلى فاس، الأمر الذي شجع قبائل

---

[1]C.Brissac, Op :cit, p126

[2]Minister de la Guerre : « Tableau de la situation des établissements Français dans 1'Algérie », Impr. Royale, paris, 1839, p309.

[3]إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص300 .

[4]Henri . Garrot, Op :cit, p872

[5]محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج 1، ص 320 .

[6]Azan .p, Op : cit ,p 223.

[7]إسماعيل العربي، معركة سيدي إبراهيم ومصير أسراها، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر ،1986، ص ص 111 112

بني عامر على مغادرة الدائرة [1]، حيث تشير إحدى التقارير التي رفعها الماريشال بيجو يوم 27 ماي 1846م، إلى القنصل الفرنسي في المغرب دي شاطو، عن مغادرة قبائل بني عامر الدائرة، ونزولهم في أراضي بني سناسن[2] ، أما المصادر المغربية فتحدثت عن هجرة هذه القبيلة إلى المغرب، وإكرامهم من طرف السلطان عبد الرحمن « فقيهم السلطان وأنزلهم على نهر سبو »[3].

ويذكر أيضا صاحب تحفة الزائر ما وجدته قبائل بني عامر ونگرمالسلطان، الذي منحهم أرضا للإقامة فيها «... **أكرم سلطان المغرب زلهم وأقطعهم أرضا تشتيل على محراب عظيم وبسائطخصبة فاستوطنوها**.. »[4]، ومما يجمل التنويه هنا، ورغم عدم تشكيكنا في الحظوة التي نالها المهاجرون الجزائريون في المغرب من جانب السلطان عبد الرحمن، وهذا سيكون له حديث مفا في ما بقي من هذا البحث، إلا أننا تعتقد أ الهدف من وراء إقدام السلطان على إكرام قبيلة بحجم بني عامر، هو محاولة تفكيك القوة العسكرية لجيش الأمير .

وفي نهاية شهر جويلية من سنة 1846م، رجع الأمير إلى الدائرة التي كانت في وضع كارثي، فعمد إلى ترتيبها والاستعدا إلى المواجهة محددة، ولكن بإستراتيجية جديدة لا تقوم على المواجهة المباشرة، بل على إستراتيجية الحرب الخاطفة " حرب العصابات "، أما قبائل بني عامر المقيمين بعيدة عن الدائرة، فكانوا مستعدين للعودة إلى صفوف المقاومة، خاصة وأنهم لا يريدون الانفصال مائية عن الأمير والوطن، وقد كاتب زعماؤها الأمير هذا الشأن، فأجابهم لمطلبهم وقبل رجوعهم، بل سار بنفسه لاستقبالهم [5].

[1] محمد بن جبور، مرجع سابق، ص 231.
[2] نفس المرجع، ص 231.
[3] الناصري، مصدر سابق ، ج9، ص 308 .
[4] محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج 1، ص 320.
[5] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص314

ويُشيرصاحبُتُحفةالزائرإلىرَغبةبنيعامرفيالعَودةلمعسكرالأمير:«... **ولمارجعالأميرمنالجهة الشرقية إلى الدائرة، اشرأبت نفوهم إلى الرجوع، وقاموا ينتظرون سنوح الفرصة** ...» [1]، ولما علم السلطان برغبتهم – أي الرجوع إلى الدائرة – منعهم من ذلك، لأنه كان يرى في هذه الحركة عاملا من شأنه أن يعز جيش الأمير، ولما أصروا على الجوع، سير م كيشة عظيمة تتقدمه قبيلة الشراردة، تحت أوامر القائد إبراهيم بن أحمد الأكحل، فوقعت بينهم معركة استغرقت نهارا كاملا، كان بنو عامر يقاتلون فيها دفاعا عن نسائهم وأولادهم، وفي هذا يقول الناصري «... **فلما اطلع السلطان على دسيسته بعث إلى أولئك الجماعة عسكرة من الشراردة، عليهم القائد إبراهيم بن أحمد الأكحل فاجتاحوهم بعد جهد جهيد، وقتال شديد، ومن ذلك أنهم اعتصموا بربوة وجعلوا يقاتلون على حريمهم، وكانوا ژماة لا تسقط لهم رصاصة في الأرض، فكانوا كلما توجهت إليهم طائفة استأصلوها بالرصاص، وكانوا يجمعون موتاهم، وينصبونهم أشبارة يتراسون به ويقاتلون من خلفه، ولما أعيى الجيش أمرهم حملوا عليهم حملة واحدة حتى خالطوهم في معتصمهم ... فكانوا يقتلون أبناءهم ونساءهم بأيديهم فرارا منالسبي والعار** ...»[2]. وحسب الناصري، فإن لجوء قبيلة بني عامر إلى السلطان، كان مكيده من الأمير إغرض الانقلاب عليه في فاس، ويبدو من هذا، أين الناصري أراد أن يبرر المجزرة التي ارتكبتها قبيلة الشراردة وقائدها أحمد بن الأكحل في حق قبيلة مسلمة مهاجرة.

هذا وتشير بعض المصادر الفرنسية إلى المجزرة الرهيبة التي تعرضت لها قبائل بني عامر في المغرب، ومنهم الجنرال كافينياك في كتابه Expedition du general Cavaignac dans le Sahara**Algerien**، «... **هاجرت قبيلة بني عامر إلى المغرب للحاق بالأمير، لكنها لم تلق إلا البؤس ،حيث علمنا أنها تعرضت للإبادة من طرف الجيش المغربي، القلة القليلة**

[1] محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج 1، ص 320 .
[2] الناصري، مصدر سابق، ص 308.

**من الناجين لقيناهم وآثار التعب والجوع بادية على أجسادهم الملطخة بالدماء، ونساؤهم شبه عاريات..»** [1]

**استفتاء الأمير للعلماء في شأن السلطان عبد الرحمن:**

وحينما لم يبق أمام الأمير ممن خيارتوكة إلى علماء الشرع في ذلك كعادته، فكتب إلى علماء الأزهر الشريف يستفتيهم في أمر سلطان المغرب، حيث كتب رسالة طويلة جاء في مطلعها حسب ما ذكره صاحب تحفة الرائر :

**... الحمد لله حمدا يوافي نعمه.. إنه لما استولى عدو الله الفرنسيس على الجزائر ولت الإيالة عن الأمير، وانقطعت السبل، وعطلت الأسباب، وطالت الشوكة والكافر، اجتمع وو الرأي وتفاوضوا على أن يقدموا رجلا عن سادتهم يؤمن الشبل ويكف المظالم ..فاختاروا رجلا منهم وقدموه لذلك، فتقدم، وعمل جهده في سبيله . وتيرت الأسباب بعونه، وجاهد في سبيله، وذلك من لدن سنة ستة وأربعين إلى سنة ثلاثة وستين هذه، ولا نزال كذلك إن شاء الله فإذا سلطان المغرب فعل بنا الأفعال التي تقوى حزب الكافر على الإسلام وتضعفنا، وأضر بنا الضرر الكثير، ولم يلتفت إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه .. ولا إلى قوله عليه الصلاة والسلام .. المؤمن لأخيه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .. »** [2]

وشرح فيها الأمير أسباب خيانة السلطان له وعد لهم كما يلي:

[1]Felix .Jacquot : « Expédition du general Cavaignac dans le Sahara Algerien », ed Gide et j. boudey libraires, paris, 1849,P20.

[2]المصدر السابق، ج1 ، ص. 306.

• إمدادالسلطان لجيش الكفار بما يحتاج من البقر وغيرها من لوازم القوة، وذلك بعد أن شد الأمير الحصار على الفرنسيين.

• حجز السلطان شحنة من الأسلحة كان قد اشتراها عامله الحاج الطيب.

• مصادرةالسلطان 400 بذلة من الجوخ اشتراها وكيل الأمير للمجاهدين.

• منع السلطان المغاربة من تقديم التبعات للمجاهدين حتى بلغ الأمر به أن أخذ أموالا كان أوقفها أحد المغاربة مجاهدي الجزائر بدعوى أنه أولى بهما.

• أن بعضا من القبائل المغربية كانت ترغب في الانضمام إلى المقاومة فمنعها السلطان.

• افاق السلطان مع فرنسا في معاهدة أوت 1844، والتي اعتبر فيها الطرفان أين الأمير عبد القادر خارج عن القانون، والعمل على قتله وتسليمه لفرنسا، أو نفيه من بلاده[1]«... **ثم أخذ يسعى في قبضي، فحفظني الله منه، ولو ظفر بي لقتلني أو لفعل بي ما اشترط عليه الفرنسيس** »[2].

وقد تحدث صاحب تحفة الزائر عن رد العلامة محمد عليش[3]على هذه المسألة، من الديار المصرية في جواب طويل: «... **فأجابه العلامة الحجة الشيخ محمد عليش مفتي المالكية بالديار**

[1] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (د.ط)، 1990، ص 233.

[2] محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج1 ، ص. 306.

[3] محمد بن أحمد بن محمد عليش ولد سنة ( 1217هـ / 1802م) بالقاهرة ، وتوفي بها سنة (1299/د/1881م)، درس بالأزهر وتقلد مشيخة المالكية والإفتاء له مؤلفات عديدة في النحو والبلاغة . ينظر: محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، ج3، تح علي اشنوفي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977.

**المصرية ...يحترم على السلطان المذكور أصلح الله أحواله، جميع ذلك الذي ذكرتم حرمته معلومة من الدين »**[1]

كما كان الأمير قد بعث برسالة إلى السلطان العثماني عبد المجيد ، يطلب فيها الأمير المساعدة، وقد حملت الرسالة في بعض جوانبها تحليلا علاقة الأمير والسلطان عبد الرحمن، حيث شرح فيها الأمير كيف تخلى السلطان عبد الرحمن والقوى الإسلامية المجاورة عنه، في جهاده ضد الفرنسيين ومما جاء في الرسالة :«.. **أسلمنا إخواننا المسلمون وتركونا في يد العدو فهم لنا ظالمون، وتبرأ ما من كان قريبا لنا من الملوك، ومنغونا شراء ما تتقوى به على الكافر وفة منه، طلبنا منهم الإعانةبالرجال فلم يقبلوا، واستعناهم بالأموال فلم يفعلوا، وطلبنا منه السلف، فكان عين المحال، ومنعوا رعاياهم من إعانتنا بكل وجه حال...»** [2]

إنا من خلال هاتين الرسالتين التي بعثهما الأمير عبد القادر إلى علماء مصر والسلطان العثماني، والتي تحملان الكثير من الحقائق التاريخية، ونظرا لأهمية الرسالة فقد تعرضنا لها بإشهاب حتى نستطيع في اعتقادنا – أن نفهم الظروف والأسباب التي جعلت الأمير يرسل هذه الرسائل، علاوة على أن الرسالتين ذواتا أهمية بمكان حيث تحتويان على شرح مفصل من الأمير حول أسباب الاختلاف والنزاع القائم بينه وبين السلطان عبد الرحمن، والتي أوجزها الأمير في ست أو سبع نقاط،كانت سببا كافية حسب الأمير ليكتب إلى علماء الأزهر يستفتيهم في أمر السلطان عبد الرحمن . وبعد وصول جواب العلماء إلى الأمير الذي كان في بلاء عظيم من جيش السلطان عبد الرحمن، أخذت طبول الحرب بين الأشقاء دق ، فالأمير هنا ملزم بالدفاع عن نفسه وعياله ورعيته، والسلطان حسب الروايات المغربية مملة بالدفاع عن عرشه وبلاده [3].

[1] محمد بن عبد القادر، مصدر سابق ، ص 310 .

[2] عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي ، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 51.

[3] عبد القادر بوطالب ، مرجع سابق ، ص 182 .

**المطلب الثالث : الحرب بين الأمير والسلطان**

بعدما كان من أمر الأمير والسلطان في ما تقدم من هذا المبحث من مشاكل وفتن، ها هم اليوم قاب قوسين أو أدنى من المواجهة الفعلية، هذه المواجهة التي كان بإمكانهما – الأمير والسلطان – بتحبها لولا تدخل المنافقين والخونة بينهما[1]، وهذا رأي المشرفي أيضا الذي قال في الخلل « **إلى أن سعي بينهما الوشاة، فعقب تلك المحبة والألفة كان الشتات وكان ما كان من العداوة والافتراق**»[2]، حيث رأينا كيف حاول الأمير مرات عديدة أن يصلح الأمر بينه وبين السلطان عبد الرحمن، [3] إلا أنه لم يصله جواب، كما رأينا محاولات السلطان إقناع الأمير بالتخلي عن المقاومة، والاستسلام، ومهادنة الفرنسيين، أو الخروج من المغرب .

ورغم ما في الأحداث من آلام وقواجع تضيق لها الدور، إلا أن البحث يجيرنا على تقصيها على مرارها، فبداية الحرب كانت عندما أمر السلطان عبد الرحمن قائد قبيلة الأحلاف بالهجوم على الدائرة وتدميرها، وتنفيذ الأوامر السلطان تحت القائد محمد بن سالم الأحمر[4] شيخ الأحلاف، على رأس ؤير كبيرة من الفرسان إلى تافرسيت لمقاومة الأمير، ولما بلغ الأمير خبر تقدم ابن الأحمر، قرر مواجهة الجيش المغربي بقوة نظامية، والتي يبلغ عددها زهاء ألفي مقاتل [5]، ولكنه رأى أن يكتب إليه قبل أن يواجهه، وأنه مستعد للدفاع ضد أي هجوم يقوم به، وهذا الإنذار وحده كان

---

[1] راجع في الموضوع : يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في المغرب ومحاولة الايقاع بين السلطان عبد الرحمن والأمير عبد القادر ( 1845 -1847)، بحلة التاريخ، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير ، 1983، ص 25.

[2] المشرفي ، مصدر سابق، ص 80.

[3] يذكر روجرز في كتابه تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية ، أن الأمير عبد القادر راسل الملك البريطاني وليم الرابع من أجل التوسط له لحل الخلاف بينه و بين السلطان عبد الرحمن، إلا أن الملك البريطاني رد عليه بالسلب، على لسان القنصل هاياودوردحيث قال « إن حكومة جلالته لديها من المشغوليات ما يمنعها من الاستجابة إلى مطلبه وأنه ليس من أمل لدى جلالة الملك بأن يتمكن من التوسط » ، ينظر: ب روجرز، مرجع سابق، ص 193.

[4] الكنسوسي ، مصدر سابق ، ص 25 .

[5] C.Brissac, Op:cit, p155 .

كافية لإفزاع قائد الأحلاف الذي رأى أن يرجئ هجومه ويطلب من السلطان مه بتعزيزات أخرى، وهذا ما كان من السلطان فأجابه ووجه إليه خمسمائة فارس، وأربعمائة رجل، ولكنه أصدر إليه أمر بعدم التواني والحف على الأمير[1].

ولميفُتْرعَزمُابنالأحمرنتيجةَهذاالفشل،بلتَمسَّكَبِخُطَّتِهوَراحيَنتَظِرالفُرصَةلمفاجأةِالأمير[2]، ولما عرف الأمير ذلك، قرر أن يقوم مبادرة تكون مثابة إنذار نهائي لابن الأحمر، فجمع القبائل الموالية له ورب جيشه وسار على رأس قوة كبيرة في ليلة 07 جوان 1847م ، حتى وصل إلى معسكر جيش قائد الأحلاف ابن الأحمر ولقه من جميع الجهات، ثم أمر بنفخ الشنبور وضب الطبول إيذانا بالاستعداد للهجوم وسط ظلام الليل، وقد كانت نتيجة هذه الحركة انتشار الذعر بين الخيول والجنود، ولم ير ابن الأحمر استعدادا للدفاع عن المعسكر سوى فرقة الخيالة الظامية، لكن الأمير ها من رؤعهم وقال لهم، إنما جاء للقيام بزيارة ودية لابن الأحمر، ردا على زيارته الأخيرة[3].

وتشير بعض المصادر الفرنسية أثر الأمير حاصر ابن الأحمر في قصبة تافرسيت، ثم بعث له الخليفة البوحميدي يفاوضه للاستسلام وحقنة للدماء، إلا أن جنود الجيش المغربي أطلقوا النار على الوفد المفاوض، فاندلعت معركة لم تدم طويلا، قل على إثرها ابن الأحمر . وقد كان مقتل هذا الأخير في 8 جوان 1847م فاجعة للشلطان عبد الرحمن الذي كان يعلق عليه آمالا كبيرة في تنفيذ مخططه ضد الأمير[4]، حيث كتب السلطان إلى ابنه المولاي سيدي محمد في 18 جوان 1847م واصفا

[1] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 311.

[2] جاء في تحفة الزائر أن الأمير أرسل إلى القائد ابن الأحمر طالبا الصلح في مرتين متتاليتين إلا أن ابن الأحمر أصر على المواجهة وينظر : محمد بن الأمير عبد القادر ، تحفة الزائر ، ج 1 ، ص 319 .

[3] إسماعيل العربي ، مرجع سابق، ص 313.

[4] إسماعيل العربي ، مرجع سابق، ص 313.

فيها هذا الحادث بأنه كارثة أخطر من كارثة "إيسلي"، **وقد كانت واقعة وجدة أخف لأن النصارى فعلوا ما فعلوا و أقلعوا أدراجهم، وهذه الواقعة هي الطامة... »**[1]

وغيم الأمير من هذه المعركة كمية كبيرة من الحقائب والغنايم بلغت حسب شرشل 2000 جنيه انكليزي، ونظر الأمير وقاده مشاعر الدهشة والشخرية إلى المعاطف والبرانس الفاخرة التي حشا بها القائد المغربي عدة صناديق بهدف توزيعها على شيوخ قبائل الريف، وإغرائهم بمثل هذه الهدايا بهدف تأليبهم على الأمير[2]

وفي شهر نوفمبر من سنة 1847م جمع السلطان عبد الرحمن جيوشا ضخمة، وضعها تحت قيادة ابنيه مولاي محمد ومولاي سليمان، وقائد منطقة الريف، وبالتنسيق مع القوات الفرنسية في الجزائر قر ضرب چار شامل على الدائرة، وقد قدر عدد الجيوش المغربية بأكثر من ثلاثين ألف مقال، بينما لم يكن يتعدى جيش الأمير ألفين [3]

وما تجدر الإشارة إليه هنا، أن الأمير قام بمحاولة أخيرة لإقناع السلطان بالمملح ، فأرسل وفدا إلى فاس بقيادة نائبه البوحميدي[4]، وكان ذلك في 27 نوفمبر 1847م، إلا أن السلطان رفض عرض الأمير، وأبقى البوحميدي عنده بفاس[5]

---

[1] محمد بن جبور، مرجع سابق، ص 245.

[2] تشرشل، مصدر سابق، ص 239.

[3] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 31.

[4] Henri . Garrot, Op :cit, p879.

[5] تختلف الرويات في مصير البوحميدي، فمنها أن الخليفة استقبله السلطان بكثير من الحفاوة، وانزله في أحدى أحياء مدينة فاس – درب الدرج– ، وزوجه إحدى بنات الفقيه ابن عبد الله السقاط، وبعد بضعة أشهر أمر السلطان بسجنه الذي بقي بهحتى وفاته، وتوجد روية أخرى تقول بأن السلطان حمل البوحميدي مسؤولية مقتل ابن الأحمر وسجنه ثم أرغمه على شرب السم : ينظر Michaux Billaire,

»les Musulmans Algeriens au Maroc » , archive marocaines Vi, 1907.publication de la mission scientifique du maroc, paris, 1974, p60.

أما الأمير الذي فقد الأمل في رجوع البوحميدي، فقد زاده حصار القوات المتحالفة ضده ألما، وتكاثرت وتعاظمت الشدائد عليه يوما بعد يوم[1]، وازداد الأمير اقتناعا أين المقاومة تلفظ أنفاسها الأخيرة، ورغم عليه باستحالة النجاة إلا أنه قرر المواجهة، ويبدو أين الأمير كان يريد بذلك أن يختم مسار قائد كرب لا قائد عصابة أو تمد، وفي هذا الموقف لم يكن يسع الأمير الانتظار حتى تطبق عليه الجيوش المغربية، فجمع جيشه في ليلة 11 و 12 ديسمبر 1847، وأحضر جملين وش على ظهر كل منهما لحزمة من الخلفاء وسار على رأس الجيش، تحت جنح الظلام، إلى المكان الذي عسكر فيه حلا السلطان، فأمر بضرب الطبول ونفخ الطنبور لإحداث أكثر ما يمكن من ضجيج، ثم دفع الحملين المحتملين بالحلفاء التي أضرمت النار فيها التعطي الإضاءة وهي تتخطى معسكر المغاربة، وحينها قام الأمير بإعطاء الإشارة لإطلاق الرصاص الذي نزل كالمطر، وقد كان من نتائج هذه الخطة أن ساد اللعب والاضطراب في جيوش السلطان، حتى أن أحد المعسكرين المغربيين كان يطلق الرصاص على المعسكر الآخر، واستمرت المعركة إلى الفجر، حينها انسحب الأمير من ميدان المعركة ملحق خسارة فاحة بجيش السلطان [2].

وحسب رواية الناصري فإ الأمير في تلك الليلة انتقى من جيه ألفا وخمسمائة فارس من أفضل رسانه وفي هذا يقوله ... **وفي أثناء ذلك عمد الحاج عبد القادر إلى طائفة من جنده نحو الخمس عشرة مائة على ما قيل، كلهم بطل جرت انتقالهم انتقاء، وكان جيش الخليفة منقيمة قسمين.... فضمد الحاج عبد القادر إليهما بتلك العصبة الذين هم فتيان الكريهة ومساعير الهيجاء وجمرات الحرب كلهم شهد بهم الوقائع وخاض غمرات الموت مع الفرنسيين وغيره فلم يقف بهم إلا بين المحلتين وأطلقوا الرصاص مثل المطر وأرسلوا**

[1] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 240.

[2] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 318.

**حراقيات على الجمال وتهاويل مفزعة فماج الناس في ذلك الظلام الغاسق ونزل بهم من الهول ما يقصر اللسان عن وصفه. »** [1]

وفي يوم 16 ديسمبر كانت وقعة أخرى بين الأمير والخليفة سيدي محمد ابن السلطان، والتي انتهت هي الأخرى بنزيمة للجيش المغربي، إلا أ إصرار الجيش المغربي على النيل من الدائرة كعل الأمير مضطر إلى الخروج من الحصار، وذلك بالعبور إلى الضفة الشرقية لنهر ملوية، وفي 19 ديسمبر بينما كان الأمير يجتار على رأس الدائرة نهر ملوية متجهة إلى الحدود الجزائرية، استغلت القوات المغربية فرصة انشغال الأمير بالإشراف على عملية اجتياز النساء والشيوخ والأطفال، فراحت تطلق الرصاص على المهاجرين وقتلت الكثير منهم، ولما وصل الأمير إلى الحدود، وجد أثر الجنرال لاموريسيار الذيكان يحاصر المدخل قوة فاقت 4000 جندي و1100 فارس [2]، قد انتم جميع احتياطاته لحراسة المدخل إلى الجزائر وخاصه مضيق جربوس. ولما وصلت طلائع الجيش الجزائري بقيادة الأمير عبد القادر إلى هذا المضيق في يوم 22ديسمبر 1847 ، وجدت القوات الفرنسية بانتظارهم في اثني عشرة ألف جندي، چينها أدرك الأمير أ وقت الشهادة حان، إلا أنه وبعد مشاورات مع أصحابه، وخوفا على النساء والأطفال قرر تسليم نفسه إلى الجنرال لأموريسيار، وهذا في مكان غير بعيد من ضريح سيدي إبراهيم الذي شهد فيه الأمير أعظم انتصاراته[3].

كان هذا التسليم في يوم 23 ديسمبر بعد تعهد لاموريسيار بتنفيذ شروط الأمير في الانتقال إلى مكة أو فلسطين أو دمشق، ورغم أثر الأميركان قادرا على تسليم نفسه إلى السلطان إلا أنه اختار

[1] الناصري ، مصدر سابق ، ص ص 308 -309.

[2] برونو إنيين، الأمير عبد القادر الجزائري، تر ميشال خوري، دار عطية للنشر، بيروت، ط1، 1997، ص 235.

[3] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية ، مرجع سابق، ص 320.

الفرنسيين حسب جوليان [1]، وبهذا الاختيار من طرف الأمير نكون قد عرفنا أي الأعداء كان في اعتقالي الأمير أرحم بدائرته[2].

وإننا ونحن نقف عند هذه الهاية المأساوية بالنسبة لمسار أحد رموز المقاومة الوطنية من بداية الاحتلال إلى الصف الأول من القرن التاسع عشر، وبعد تتبع أهم محطات ومراحل تطور العلاقات الجزائرية المغربية، من بدايتها إلى هذه النهاية التي تتلجلج عندها الألسن، وتخوها الألفاظ والعبارات .

إن نهاية المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، أنهت معها آلام القلوب التي كانت تتحسر على مقوط دماء المسلمين، دماغ لو بذلت في حقها لأغنت ولو يسيرة عما سقط من دماء في الجزائر، وتونس، والمغرب، وليبيا، ولكنا نأسى أسئ بعيدة أن ضيع القادة المسلمون حلم وحدة لو تحققت في هذا الفجر من التاريخ المعاصر لكان الأمر مختلفا الساعة.

[1]CHARLES – André julien :opcit ,p ,206 .

[2] يقول شرشل أن الأمير خير أصحابه وشاورهم إلى أي الطائفتين يسلم نفسه . حيث قال لهم « والمشكل هو هل نسلم أنفسنا إلى أيدي المسيحيين أو إلى أيدي مولاي عبد الرحمان ، ولكم أن تحكموا في هذا الأمر بما ترون أنه الأفضل ، أما أنا فإنني أفضل ألف مرة أن أثق فيمن حاربني على من خانني » ، ينظر : هنري شرشل ، مصدر سابق ، ص 246 .

# الفصل الثالث

# سقوط دولة الامير عبد القادر والاستسلام

## المبحث الاول: توقف الامير عن القتال

عندما وجد الأمير عبد القادر نفسه محاصرا من كل الجهات ، رأى أن خلاصة الوحيد هو الصحراء، وعليه دفع دائرته نحو الحدود الجزائرية، واجتاز نهر ملوية ودارت آخر معركة ليصل إلى سهل تريفه، إذ دارت معركة حادة قتل فيها أكثر من نصف المشاة النظاميين والقسم الأفضل من الفرسان، ثم عبرت الدائرة وادي الكيس، توقف المغاربة عن مطاردتها ثم عبر الأمير عبد القادر الحدود إلى أن أطل على تل كربوس المواجه له والذي كان تحت سيطرة الفرنسيين، إذ جرى إطلاق نار بين الأمير والسباهين، وكان رتل الامورسيير قريب من الأمير وهنا رأي الأمير أن قواته مستحيل أن تكفي للمجابهة، وبعد تفكير قرر الأمير الاستسلام، فما هي الأسباب التي دفعت الأمير إلى الاستسلام؟ ولماذا قرر الأمير تسليم نفسه إلى الفرنسيين وليس المغاربة؟ وما هي ردود فعل الحكومة المغربية والسلطات الفرنسية والشعب الجزائري؟

### المطلب الاول: اسباب توقف الامير عن القتال

- شعر الأمير بالعجز بعدما كان يشعر منذ طفولته أنه مقدر له القيام بمهمة عظيمة في حياته المستقبلية.

- الحصار الشديد الذي فرضته السلطات المغربية على الأمير عبد القادر وضغطها عليه من خلال منع قبائلها من تقديم المدن، وقطع الطريق عنه.

- سياسة فرنسا المعتمدة في تشويه صورة الأمير أمام القبائل المساندة له ومحاصرته، واستسلام بعض قادته أهمهم خليفته أبو سالم الذي استسلم في مارس 1847، بعد أن تعرضت بلاد القبائل الثلاث حملات فرنسية سلطت أشد أنواع الانتقام على السكان. [1]

- العنف الذي سلطة السلطان وأتباعه ضد المهاجرين الجزائريين، وخيانة بعض القبائل له. - حالة اليأس التي بلغها الأمير عبد القادر، خاصة بعد استشهاد أهم قادته من بينهم محمد بن يحي

[1] برونو اتيين: الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، دار عطية للنشر لبنان، ط1 ،بيروت، 1997 ص 237

المعروف بورعه وشجاعته، ويقول الأمير في حقه "نشهد أمام الله أنك فعلت ما تستطيع لإعلاء كلمته، والله سينصفك يوم الحساب الأخير".

– نفاذ ذخيرة الأمير عبد القادر، ولم يعد بإمكانه مواصلة الجهاد وهو في حاجة إلى السلاح والمدد، حتى المساندة والدعم من بعض القبائل التي تراجعت عن دعمه تحت تأثير المخزن.

– تأكد الأمير عبد القادر أن عبور الصحراء لم يعد ممكنا، ورأي الأمير إلى عائلته وجيشه والمصابين الذين لم تعد في طاقتهم مواصلة الحرب أو حتى السير.

– القلق الكبير الذي انتاب الأمير إزاء ما قام به سلطان المغرب قتل سفيره وخليفته البوحميدي، وقتل محمد بن عيسى البرقاني حاكم مدية السابق في تازة، ومراكش التي كانت ملجأ له ولأهله أصبحت قبرا لهم.

– شدة البرد وكثرة الأمطار، والأطفال والنساء والشيوخ يموتون جوعا وغيضا. [1]

– قوة الجيش الفرنسي والذي كان يفوق جيش الأمير عدد وعدة، وكان الجنرال الامورسيير يتربص به، وسد عليه جميع السبل.

– تخلي الأمير عبد القادر عن قواده وخلفائه، لأن ذويه خانوه، وأصبحت زمالة الأمير تعج بالأرامل وأطفالهم الذين اعتبرهم الأمير أمانة في عنقه [2].

– رأي الأمير أن يستسلم كأحسن حل لأن مواصلة الجهاد ستضاعف من الوضع الراهن، مع الحصار البحري المغربي على السواحل الجزائرية، والحصار البري المفروض على الحدود الغربية والشرقية الأمر الذي صعب مهمة وصول الأسلحة والإمدادات إلى المجاهدين، ورفض السلطات العثمانية والانجليزية تقديم المدد له.

---

[1] نفسه، ص 237. وتحفة الزائر، ص 599.

[2] عبد الرزاق السبع، الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة العزيز سعود البابطين للإيداع الشعري،أوت 2000 ص 47.

**المطلب الثاني: استسلام الامير**

لقد وجد الأمير عبد القادر نفسه وحيدا محاصرا، أو مضايقا يقاتل دولة متفوقة سياسيا وعسكريا واقتصاديا، بينما حكومة الأمير أيامها معدودات منذ تأسيسها، قام الأمير باستشارة المقربين إليه أمثال مصطفى بن التهامي وقدور بن علال...، وقال: **"يا قوم إن الأحوال كما ترون والأخبار على ما تسمعون فما الرأي وما الحيلة؟.. فقالوا: الرأي السيدنا فالذي يراه نحن معه فيه فقال: لا أرى إلا التسليم لقضاء الله تعالى والرضا به ولقد أجهدت نفسي في الذب عن الدين والبلاد، وبذلت وسعي في طلب راحة الحاضر منها والباد، وذلك من حين اهتز غصن شبابي، وافتر عن شباه الهندي نابي، وأقمت على ذلك ما ينيف على سبعة عشرة سنة أقتحم المهالك، وأملأ بالجيوش الجرارة الفجاج والمسالك، أستعقر العدو على كثرته واستسهل استصعابه، وتوغل غير خائف أو دنية وشعابه، وأرتب له في طريقه الرصائد، وأنصب له فيها المكائد والمصائد، تارة انقضعليه انقضاض الجارح، وأخرى أنصب إليه انصباب الطير إلى المسارح، وكثيرا ما كنت أبيته فأفنيه، وأصحبه فأبرد غليلي وبنان، وأقضي حق الجهاد بالمهند والسنان إلى أن فقدت المعاضد والمساعد، ونفي الطارق والتالد، ودبت إلى من بني ديني الأفاعي واشتملت على منهم المساعي والآن بلغ السيل الزبى والحرام الطبيين، فسبحان من لا يكيده كائد، ولا يبيد ملكه وكل شيء بائد** [1].

وفي قول آخر يقول الأمير لمن تبعه:" **لم يبق سوى ثلاثة حلول ممكنة: إما اجتياز تل كربوس والعبور فوق أجسام الخيالة الذين يحرسونه، ولو سلمنا جدلا بأننا سنعبر، فلا بد من التفكير بأن الفرنسيين هم قريبون من الموقع، وإما سلوك طريق يسمح للمشاة والفرسان ببلوغ الجبل وعبوره، لكن النساء والأطفال والجرحى لن يستطيعوا السير في هذه الحالة، وينتهي الأمر بهم إلى الوقوع في أيدي النصارى، وإما الاستسلام أخيرا" وتكلم صحبه**

[1] إدريس خضير: البحث في تاريخ الجزائر الحديث(1830 -1962 ،(دار الغرب للنشر و التوزيع، دت، ج1 ،ص 236.

**كرجل واحد:" لتمت النساء والأطفال وأهلنا، المهم أن تسلم أنت سلطاننا الذي سيتمكن وحده من استئناف القتال في سبيل الله"[1].**

أمام هذه الظروف الصعبة رأي الأمير عبد القادر أن يتصل بالباب العالي بغية طلب المساندة،[2] لكنه لم يلقى أي صدي مع أن الأوضاع التي آلت إليها الجزائر، كانت نتيجة الحكام العثمانيين، بغض النظر عن الأوضاع التي كانت تعيشها الدولة العثمانية من ضعف وفتن [3].

أما بالنسبة إلى تونس فلقد راسل الأمير عبد القادر الباي التونسي محمد بن حسن يطلب منه الدعم والمساندة ضد قوات الاحتلال الفرنسي في شهر ماي 1847، لكن هذه المراسلات لم ترد عليها السلطات التونسية، كان موقفها معارض وسلبي اتجاه المقاومة الشعبية الوطنية وعارضوا تقديم أي مساعدات للأمير عبد القادر[4].

بالنسبة إلى علماء الأزهر الشريف، لم يحركوا ساكن على حث المسلمين من أجل الجهاد مع العلم أنهم أفتوا بتحريم الجهاد في الجزائر واعتبروا الاستعمار قضاءا وقدرا محتوما كما أشرنا لذلك من قبل في الفتوى التي تحصل عليها ليون روش من علماء الشرق :" **إن أي شعب مسلم يغزو الكفر أراضيه فيقاوم ويفقد كل حظ في الحصول على الانتصار يستطيع أن يقبل العيش تحت سيطرتهم مع الاحتفاظ بأمله في التخلص من النير الاستعماري بعون الله تعالى، ويكون الخضوع مشروطا باحترام العدو للحرية والدين والشرف والنساء خاصة**"[5].

---

[1] هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد االله، د.م.ج، الجزائر، 2004 ص 313.

[2] أحمد توفيق المدني: أبطال المقاومة الوطنية (حمدان خوجة، أحمد باي قسنطينة، الأمير عبد القادر ولدولة العثمانية)، مجلة التاريخ، الجزائر، 1977 ع 4، ص 99 وما يليها

[3] أبو القاسم سعد الله: شعوب وقوميات، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص ص 17_18.

[4] يحي بوعزيز: موقف البابات التونسيين من ثورة الأمير عبد القادر، مجلة الأصالة، الجزائر، ع 23، 1975 ص 27

[5] نور الدين بلعربي: العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر(1830 -1847 ،(مذكرة لنيل شهادة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2008 ، ص ص 142-143.

حاول الأمير عبد القادر الاتصال بالحكومة الاسبانية عبر حكامها العسكريين في مليلية وقام بإرسال عدة رسائل إلى الملكة إليزابيث"، لكن الحكومة الاسبانية لم تكن تسعى إلى مساندة الأمير عبد القادر والمقاومة الجزائرية[1].

أمام هذه الظروف الصعبة، والمراسلات التي لم تجد أي صدى قرر الأمير عبد القادر التسليم إلى الفرنسيين إذ يقول في هذا الصدد: "**قمت بمحاربة الفرنسيين لمدة 15 سنة من أجل بلادي، لكنني عندما رأيت تعب رفاقي ورفض القبائل الجزائرية لنصرتي والسير في طريقي وعمل المغاربة على تسليمي للفرنسيين فهمت...أن مهمتي انتهت وإلى الأبد**[2].

وكاتب الأمير الجنرال مورسيير رئيس الجيش الفرنسي، وبعث رسولا من حاشيته ليخبره ولما بلغ الخبر أحد أتباع لامورسيير وسار معه في جمع من الخيل إلى المعسكر الفرنسي ليبلغ الجنرال ما اقتضى ما أمر، واهتز الجنرال لذلك مسرورا وأرسل إلى الأمير سيفه مع ورقة ختمها بختمه على بياض ليشترط الأمير ما أراد.

لقد تمثلت شروط تسليم الأمير عبد القادر في ما يلي :

- أن يحملوه مع جميع عائلة إلى عكا أو الإسكندرية، ولا يعترضوا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر، وأن الذي يبقى منهم في الوطن يكون آمنا على نفسه.
- سلم الأمير نفسه في 15 محرم 1264هـ/23 ديسمبر 1847م.

**المبحث الثاني:ردود الافعال عن استسلام الامير ونتائجها**

قبل أن نتطرق إلى ردود الفعل إزاء تسليم الأمير عبد القادر، يجب أن نتطرق إلى أهم الأسباب التي دفعت الأمير عبد القادر يسلم نفسه إلى الفرنسيين وليس إلى المغاربة:

[1] يحي بوعزيز: لجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، دار البعث للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 1962، ص 104.

[2] نور الدين بلعربي: المرجع السابق، ص 143.

– رأي الأمير عبد القادر أن التسليم للفرنسيين أهون عليه من أن يسلم نفسه للسلطان عبد الرحمان، مستندا في ذلك إلى عامل تاريخي ألا وهو أن فرنسا أعطت قيمة ومكانة لبعض قادته الذين سلموا إلى فرنسا (أحمد بن سالم و بومعزة...)، وأن السلطان عبد الرحمان حسب اتفاقية طنجة سيسجن الأمير، أو يقتل.

– رأي الأمير أن المغرب لا يعرف لا قانون ولا شرع، ودليل ذلك ما فعله السلطان بقبائل الحشم وبني عامر، أما فرنسا فهي دولة قائمة بحد ذاتها على القوانين والأصول، يقول الأمير من خلال مذكراته: **"المصير إلى الجند الفرنسي أولى من التول للمغاربة لأنهم لا عقد عندهم...ولأن الجيش الفرنسي بيت ملك من قديم الزمان وضوابط شؤونهم مضبوطة وكلمتهم عند المتولي للأمير لا يتعداها غيره ولو أعلى منه فيعطونهم قدرهم من التعظيم والحرمة ولو كانوا أعداء".**

– فقد الأمير كامل ثقته بالمغرب سواء من ناحية السلطان عبد الرحمان الذي كتب الأمير في قوله:"**لقد أثرت أن أسلم نفسي لمن حاربني على أن أسلم نفسي لمن خانني**"، وفي شأن المغاربة قال :" فلم يلتفوا لقدرنا، لأن قبول المعذرة شأن كرام الناس والمغاربة لئام الناس" [1]

**المطلب الاول:ردود الافعال الفرنسية**

لقد فرح الفرنسيون كثيرا لسماعهم هذا الخبر، واحتفلوا بهذا الانتصار الباهر الذي حققوه لأن الجزائر أصبحت مستعمر فرنسية، وأن هذا الاستسلام يعتبر حدثا في غاية الأهمية لفرنسا، إذ جلبت الآلات الموسيقية الفرنسية، وكانت مدافعها تدوي بالعاصمة معلنة للشعب الجزائري نبأ ما حدث، ويمكن إثبات ذلك في ما كتبه دي شاستو إلى وزير الشؤون الخارجية: **"لقد اختفى اليوم كل عامل الخلاف بين فرنسا والمغرب، وآمل أنه لم يعد علينا إلا أن نزيد في توثيق**

[1] محمد السعيد القاصري: العلاقات الجزائرية المغربية 1847-1830) ،)مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2001 ، ص 209.

**علاقات التفاهم بين الدولتين ونعمل تدريجيا على إدخال الحضارة التي لا تزال على درجة كبيرة من البربرية والتخلف"**[1].

**المطلب الثاني:ردود الافعال المغربية**

لقد استقبل نبأ تسليم الأمير عبد القادر بالمزيد من الفرح والسرور لدى المخزن المغربي وفي يوم 25 ديسمبر 1847 أمر سيدي محمد بإطلاق 21 طلقة مدفع، وإقامة الزينات والاحتفالات عبر مختلف المدن المغربية.

أما موقف السلطان فلق تميز بالاستغراب والاشمئزاز بقوله:" **فقد وصلنا كتابك في شأن إلقاء الفتان نفسه لعدو الدين الفرنسيس، وكنا نضن أن معه من العلم والدين ما يرده عن ارتكاب هذه الكبيرة حتى اختار ذمة الكفرة عبدة الأصنام على ملة الإسلام فهذا من سوء الخاتمة والعياذ بالله"**[2].

وفي رسالة كتبها السلطان إلى أحمد بن المحاطية يوم 30 ديسمبر 1847، معتبرا أن ما حدث هو فتح عظيم مما جاء فيها:"**الفاسد الفتان وخليفة الشيطان، أبعد في الجسارة وامتطى مطي الخسارة...وسولت له نفسه الأمارة الاتصاف بالإمارة وأراد رشق عصا الإسلام وصدع مهج الأنام...واستبطن المكر والخداع وفاق فيه عابدي ود وسواع، وهو في خلال ذلك يظهر مظهر يستهوي بها أهل الجهالة والعماية الضلالة، فآيسنا من رشده وعرفنا مضمر قصده، فجهزنا له محلة منصورة ذات أعلام منشورة فكانت الكرة عليه...واستدبر المعركة وهام وعادت جموعه جمع تكسير وجيوشه موزعة بين قتيل وأسير "**[3].

---

[1] محمد السعيد القاصري: المرجع السابق 210.

[2] محمد أمطاط: الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830 –1962 مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، تقديم محمد كنبيب، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، ط1 ،الرباط، 2008 ،ص 64.

[3] إسماعيل حامت: الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، تق علي تابليت، تر وتص زكي مبارك ومحمد لخواجة 1 منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2011 ، ص 179.

في 23 ديسمبر 1848 كتب أحمد بن بومهدي الهواري إلى السلطان عبد الرحمان مما جاء فيها :" **ورد علينا من حضرة مولانا ما فتح الله به على المسلمين من رد الفاسد الفتان وخليفة الشيطان على كيده، وبارت تجارته وياء بالخسارة واتضح للمسلمين ضلاله فحصل بالقطر من السرور والفرح ونشر الأعلام ما أدهش العقول وأنعش الأفهام، فيا ليتها من مرية تزل على مر الليالي تتلى وتسمى...فقد تلطف خليفة مولانا ونجله حتى استظهر ما استبطنه الخداع من متابعة حزب أهل ود وسواع...فصار من هذا عرش الملك في أعلا عز وفاق، واتسق بذلك الأمر أي اتساق وليسهمني سيدي من ذلك الأجر الذي أعقبه الله البركة**"[1].

وما نراه هنا أن السلطان عبد الرحمان بالرغم من استسلام الأمير، إلا أنه استمر في وصف الأمير بالخائن، كذلك الفرح الذي أظهره الفرنسيين والمغاربة بعد سماع خبر الأمير [2] .

[1] إسماعيل حامت: المرجع السابق ، ص 182.

[2] (أنظر الملحق رقم 04، ص 119.)

**المراجع باللغة العربية :**

1. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 3.
2. إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية .
3. إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 - 1934، دار هومة، الجزائر 2009 .
4. إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،ط2 2007 .
5. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة السعدية)، تحق وتع جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء للنشر والتوزيع 1997، ج8.
6. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان 1992 ج1.
7. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500- 1830)، دار الغرب الإسلامي بيروت 1998، ج 1.
8. أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ش.و.نت، ط2 الجزائر 1982 .
9. أحمد الشريف الزهار: منكرات (1754- 1830)، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش مونوت ط2 الجزائر، 1981.
10. أديب حرب : التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808- 1847)، ش، و ن، ت الجزائر، 1983 ج 1 .

11. أرزقيشويتام: لمجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (926- 1246هـ/ 1519-1830م) دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2009.

12. إسماعيل العربي: لمقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ش.و.نت، الجزائر.

13. إسماعيل العربي، معركة سيدي إبراهيم ومصير أسراها، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر ،1986.

14. إسماعيل حامت: الحكومة المغربية واحتلال لجزير، تق علي تابليت، تر وتص زكي مبارك ومحمد الخواجة منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2011.

15. أمل عجيل وآخرون : قصة وتاريخ الحضارات العربية القرن 19-20، ليبيا، السودان، المغرب (موسوعة تاريخية جغرافية، حضارية وأدبية)، 1998-1999.

16. ب ج روجرز، تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900، تر وتع يونان لبيب رزق ،دار الثقافة، الدار البيضاء ،ط1، 1981.

17. ب ج روجرز، تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900، تر وتع يونان لبيب رزق ،دار الثقافة، الدار البيضاء ،ط1، 1981.

18. برونو اتين: الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، دار عطية للنشر لبنان، ط1 بيروت 1997 .

19. برونو إنيين، الأمير عبد القادر الجزائري، تر ميشال خوري، دار عطية للنشر، بيروت، ط1 1997.

20. بلعربي نورالدين، "معركة إيسلي وانعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير"، بحلة الحكمة العدد 12، السنة 2017.

21. بوعلام بسايح: أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف ولقلم (1830-1954) عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

22. جون. وولف: الجزائر وأوروبا (1500- 1830)، ترجمة أبو القاسم سعد الله، م، و، ك الجزائر 1986.

23. حمدان خوجة: المرأة، تعر وتق محمد العربي الزبيري، ش .و.نت، ط2، الجزائر، 1982.

24. سعيدوني والمهدي البوعبدلي : الجزائر في تاريخ العهد العثماني، موك، الجزائر، 1984، ج4.

25. شوقي أبو خليل، الإسلام والحركات التحررية العربية، دار الرشيد، دمشق، ط1 ،1976.

26. صالح عباد : الجزائر خلال الحكم التركي (1514- 1830)، دار هومة للطباعة، الجزائر 2005.

27. صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1850)، د.م.ج، الجزائر، 1993.

28. صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، طه 1993.

29. عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2004 .

30. عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،ط2 ،1985 .

31. عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1985.

32. عبد الرحمان بن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تح علي عمر مكتبة الثقافة الدينيةالقاهرة، 2008.

33. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر لعام، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2010 ج4.

34. عبد القادر سلاماني: الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة ( 1832-1847)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2008.

35. الغالي غربي وآخرون: لعدوان الفرنسي على الجزائر – لخلفيات والأبعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2007.

36. فتيحة صحراوي: الجزائر في عهد الداي حسين(1818-1830)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010.

37. الكولونيل سكوت : مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، تر وتع إسماعيل العربي ش .ونت، الجزائر، 1981.

38. محمد العربي الزبيري: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي، مطبعة بن بولعيد، الجزائر، 1975.

39. محمد رزوق: دراسات في تاريخ المغرب، أفريقيا الشرق، ط1، 1991.

40. محمد مزيان، "جذور النزاع الحدودي بين الجزائر والمغرب"، بحلة كان التاريخية، ع 22 ديسمبر 2013.

41. محمود إحسان الهندي: لحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات في الجزائر من العهد العثماني إلى عهد الثورة والاستقلال، دمشق العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، 1997.

42. المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة، الأساطير ولواقع، دار القصبة للنشر الجزائر 2009، ج2.

43. ناصر الدين سعيدوني وآخرون: الجزائر في تاريخ العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر، 1984 ج4.

44. ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة سعود البابطين للإبداع الشعري مطبعة مؤسسة ماجد الحكواتي، مكتبة الإسكندرية، 2000.

45. ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزئرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزئر في العهد العثماني دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

46. ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الإبداع الشعري، الكويت ،2000 .

47. نقولا زيادة، صفحات مغربية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ،2002 .

48. هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، د.م.ج، الجزائر،2004.

49. هوارية بكاي، الاحتلال الفرنسي المنطقة تلمسان وردود الفعل الوطنية " الأمير عبد القادر الجزائري نموذجا"، محلة القرطاس ،العدد 1، 2012 .

50. يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزير، د.م.ج، الجزائر، 1965.

51. يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين، ج1، دار البصائر، الجزائر 2009.

52. يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ط)، 1990.

**المراجع باللغة الأجنبية :**

1. BENACHENHOU - a ": l'état algerien en 1830 ses institutions- Sous Emir Abdelkader"ed ENAG Alger 2009 .
2. Felix .Jacquot : « Expédition du general Cavaignac dans le Sahara Algerien », ed Gide et j. boudey libraires, paris, 1849.
3. Henri . Garrot : « Histoire Générale de l'Algerie », impcvbn, Alger, 1910.
4. Louis Marie Rnn « Marobouts et khouan Etude sur l'islam en Algérie», Ed Adolphe Jordan libraire ,Alger, 1884 .

5. M H. de La Martinière N Lacroix : « Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest africain »,T1, gouvernement générale de l'algerie, Service des affaires indigenes, 1897.
6. MH. de La Martiniere N Lacroix :T2 , Op. cit
7. Minister de la Guerre : « Tableau de la situation des établissements Français dans 1'Algérie », Impr. Royale, paris, 1839.

## فهرس المحتويات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| البسملة | |
| الشكر و التقدير | |
| إهداء | |
| مقدمة | أ-ب-ج |
| **الفصل التمهيدي : أوضاع الجزائر و المغرب قبيل الاحتلال الفرنسي** | |
| المبحث الأول: اوضاع الجزائر قبيل الاحتلال | **5** |
| المطلب الأول : الأوضاع السياسية | **5** |
| المطلب الثاني :الأوضاع الاقتصادية | **6** |
| المطلب الثالث : الأوضاع الاجتماعية والثقافية | **8** |
| المبحث الثاني : أوضاع المغرب الأقصى | **10** |
| المطلب الأول : الأوضاع السياسية | **10** |
| المطلب الثاني : الأوضاع الاقتصادية | **11** |
| المطلب الثالث : الأوضاع الاجتماعية و الثقافية | **12** |
| **الفصل الأول : العلاقات الجزائرية المغربية على عهد الأمير عبد القادر** | |
| **المبحث الأول : الأمير عبد القادر وتأسيس الدولة الجزائرية** | **14** |
| المطلب الأول : التعريف بالأمير عبد القادر | **14** |
| المطلب الثاني : بيعة الأمير عبد القادر وتأسيس الدولة الجزائرية | **17** |
| المطلب الثالث : العلاقات الخارجية لدولة الأمير عبد القادر | **22** |
| **المبحث الثاني :موقف السلطان المغربي من مقاومة الأمير عبد القادر** | **23** |
| المطلب الأول :التعريف بسلطان المغرب المولى عبد الرحمان بن هشام | **23** |
| المطلب الثاني:أشكال الدعم المغربي للأمير عبد القادر | **24** |
| المطلب الثالث: الموقف الفرنسي من الدعم المغربي للأمير عبد القادر | **28** |
| **المبحث الثالث:** معاهدتي دي ميشال 1834 والتافنة 1837 وأثرهما على العلاقات الجزائرية المغربية | **35** |

| | |
|---|---|
| المطلب الأول : معاهدة دي ميشال 1834وأثرها على العلاقات الجزائرية المغربية | **35** |
| المطلب الثاني : معاهدة التافنة 1837 وموقف المغرب منها | **40** |
| المطلب الثالث : نقض معاهدة التافنة | **48** |
| **الفصل الثاني : الضغط الفرنسي على المغرب و توتر العلاقات الجزائرية المغربية** | |
| **المبحث الأول** :الضغط الفرنسي على المغرب وتراجع الدعم المغربي للمقاومة الجزائرية | **53** |
| المطلب الأول : الضغط الفرنسي على المغرب | **53** |
| المطلب الثاني :الطريق نحو التصادم المغربي الفرنسي | **54** |
| المطلب الثالث : معاهدة طنجة ولاية مغنية | **64** |
| **المبحث الثاني : توتر العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان** | **71** |
| المطلب الأول : إشاعة محاولة انقلاب الأمير على الحكم في المغرب | **71** |
| المطلب الثاني : تحريض القبائل المغربية ضد الأمير و استفتاء الأمير للعماء شأن السلطان المغربي | **73** |
| المطلب الثالث : الحرب بين الأمير والسلطان | **82** |
| **الفصل الثالث : سقوط دولة الأمير عبد القادر و الاستسلام** | |
| **المبحث الاول: توقف الامير عن القتال** | **89** |
| المطلب الاول: اسباب توقف الامير عن القتال | **89** |
| المطلب الثاني: استسلام الامير | **91** |
| **المبحث الثاني: ردود الافعال عن استسلام الامير ونتائجها** | **93** |
| المطلب الاول:ردود الافعال الفرنسية | **94** |
| المطلب الثاني: ردود الافعال المغربية | **95** |
| خاتمة | **98** |
| قائمة المصادر و المراجع | **100** |
| **فهرس المحتويات** | |

و خاتما لهذا العمل سجلنا التعاون الكبير و التضامن الذي أبداه شعبا و سلطة نحو جهاد الامير عبد القادر و رغم العداء بين سلطان المغرب و الداي حسين إلا ان الموقف الشعبي المغربي جعل السلطان المغربي يقف إلى جانب إخوانه في الجزائر و دعم مقاومة الامير عبد القادر

- خبث فرنسا للحد من دعم المغرب للأمير بإستعمال شتى الطرق الترهيبية و الترغيبية كسياسة الأرض المحروقة و إرسال الشكاوي للسلطان للضغط عليه و ذلك بواسطة قنصلها.

- معاهدة طنجة و لالا مغنية كانت مكسب لسلطة الإحتلال و ساهمت في تغيير موقف السلطان و ساهمت في إقامة علاقات قوية بين فرنسا و المغرب بعد جهاد طويل .

و في الاخير يبقى هذا المجهود العلمي قابل للبحث و التعمق .